

# جوهرا الإسلام

العدد 2/1 - السنة 21

جمادى الأولى 1443

جانفي 2022



# جواهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير

الأستاذ محمد صالح الدين المستاوي

|  |  |
|--|--|
| العنوان  | 28 نهج جمال عبد الناصر - تونس 1000             |
| الهاتف<br>الفاكس                               | 216.71.327.130<br>216.71.423.233               |
| البريد الإلكتروني<br>الموقع الإلكتروني         | mestaoui.s@gnet.tn<br>www.jawhar-al-islam.info |
| الحساب الجاري بالبنك<br>العربي لتونس (الجزيرة) | 010000211110000238106                          |
| ISSN   | 0330-4957                                      |

الاشتراك للمؤسسات

بتونس: 30.000د

بالخارج: 30 أورو

الاشتراك بتونس

للأفراد: 20.000د

بالخارج: 20 أورو

الثمن للأفراد

بتونس: 3.500د

بالخارج: 3.50 أورو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صَلَّى  
الصلوات



# جواهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة

الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير

الأستاذ محمد صالحي الدين المستاوي

## المحتوى

- 6 ..... الافتتاحية : بين يدي عدد جديد وسنة جديدة من مجلة جواهر الإسلام
- رئيس التحرير
- 8 ..... خُصُوصِيَّتي مَعَ مَجَلَّتِي «جَوهرُ الإِسْلامِ» الغُرَّاء
- بقلم الأستاذ : صالح العُود
- 10 ..... تفسير آيات من القرآن الكريم
- بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله
- ..... منهج الثقافة الإسلامية
- بقلم فضيلة الشيخ محمد الفاضل ابن عاثر ( رحمه الله )
- 20 ..... مستقبل التمويل الإسلامي في ظل التغيرات التي يشهدها العالم
- بقلم فضيلة الشيخ عبدالله بن بيّه
- 25 ..... امتداد فكر الإمام الأشعريّ لدى المحدثين
- أ.د. أبو لبابة الطاهر صالح حسين
- 32 ..... الدعوة إلى الإسلام هي الجهاد
- بقلم المفكر الهندي وحيد الدين خان ( رحمه الله )
- 34 ..... الحديث الثامن عشر : التقوى والتوبة وحسن الخلق
- بقلم الأستاذ محمد صالح الدين المستاوي
- 42 ..... حماية الأرض أمانةً وضعها الله بين يدي الإنسان
- بقلم أ.د. أحمد الطيّب شيخ الزهر
- أصول المدد الروحي والامتداد الصوفي المغربي في العمق الافريقي انطلاقاً من

- 46..... بيت النبوة  
**بقلم السيد سلامة ابن أحمد العلوي (المغرب)**
- 52..... ابن عباد الرندي حياته وتقديم لمؤلفاته  
**بقلم الدكتور عبد الرهادي كنيت هنركمب (أمريكا)**
- تقرير عام حول الملتقى الروحي الدولي الأول لمولاي علي الشريف دفين
- 64..... مراكش
- 68..... أهمية الاعتناء بحقوق الضعفاء والمساواة إلى قضاء حوائجهم  
**بقلم الشيخ الحبيب المستاوي (رحمه الله)**
- من مؤسسي الإملاءات القرآنية بتونس: الشيخ عبد العزيز الباوندي (1893 -
- 71..... (1940)
- بقلم الأستاذ محمد العزيز الساهلي**
- 74..... نشاطي الموقوت رغم التردّي وانحسار القوت  
**بقلم الأستاذ صالح العود - فرنسا**
- 76..... أين موثيق حقوق الإنسان ممّا جاء به الإسلام؟  
**بقلم الشيخ محمد صالح الدين المستاوي**
- 81..... التعريف بالجمعية التونسية لإحياء التراث الزيتوني
- 83..... في وداع الشيخ الطالب مبارك بقدّير بن صالح - رحمه الله -  
**بقلم الأستاذ أحمد لهابة (عين صالح الجزائر)**
- 85..... من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (يسألونك قل..)  
**بقلم فضيلة الشيخ محمد الحبيب النفطي**
- 88..... كعبة بطاطا أعلى وأهم من معرض الكتاب ؟  
**بقلم : صالح الصاجة**

## الافتتاحية : بين يدي عدد جديد ورقة جديدة من مجلة جواهر الإسلام

بسم الله وعلى بركة الله وبعونه وتوفيقه تدخل مجلة جواهر الإسلام سنتها الجديدة (السنة 21) من عمرها المديد ان شاء الله مواصلة السير في خطها الذي عهدا عليه قراؤها الذين نعتز بما يعبرون عنه من تقدير لجهودها في خدمة الامة ودينها بما في مستطاعها وثباتها على ذلك رغم الصعاب التي لا نريد ان نكرر التذكير بها حتى لا نغص عليهم صفو استمتاعهم واستفادتهم بما تختاره لهم المجلة في كل عدد جديد من مادة علمية متنوعة لشيخ وأساتذة كرام آلت جواهر الاسلام على نفسها ان تظل منبرا ينشر بين الناس علمهم المدق وفكرهم النير وتوجيههم القويم الداعي الى ما فيه رضا الله وما فيه سعادتهم في هذه الدار وفي الدار الآخرة وتلك هي غاية جواهر الإسلام الأولى والأخيرة والله وحده العليم بذلك وهو سبحانه وتعالى المسدد والموفق والمثبت ونسأله دوام ذلك والمزيد منه.

(وفي هذا العدد تحية وفاء وتقدير لجواهر الإسلام كتبها الأستاذ صالح العود الذي ما انفك يتحف القراء بمقالاته وبما يتفضل به من مؤلفاته يقدمها هدية لهم مع كل عدد يصدر بارك الله فيه وفي جهوده).

يصدر هذا العدد الجديد حافلا - كالمعتاد - بالدراسات العلمية الثرية والمتنوعة لاعلام من تونس الزيتونة ومن مختلف الأرجاء من داخل بلاد الإسلام ومن خارجها (في قسمي المجلة العربي والفرنسي) وهو ما اراده لها مؤسسها رحمه الله وتمضي فيه جواهر الاسلام خدمة للامة ودينها. وهذا الثراء والتنوع وجده قراء جواهر الاسلام في كل الاعداد التي صدرت منها وهي اليوم (20 مجلدا) وهي بحمد الله حصيلة تتبوأ بها مكانة متقدمة بين المجالات الثقافية الإسلامية الجامعة التي صدرت طيلة العقود الماضية و احتجب عن الصدور الكثير منها تاركا فراغا كبيرا لا يسده ما يتضمنه العالم الافتراضي من مادة ويعدده البعض البديل عن كل ما هو ورقي وما هو كذلك نظرا لما فيه من تسرع وخلط ودس وتضليل وغث وود....

فبالإضافة الى الأبواب القارة (من تفسير وشرح حديث وفتاوى ومتابعة لما يعقد من ملتقيات ومؤتمرات وما يصدر عنها من بيانات وتعريف بالاعلام والمعالم والهيئات ..) يتضمن هذا العدد بحوثا منها (منهج الثقافة الإسلامية) وهو مقال خص به المنعم المبرور فضيلة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله جواهر الاسلام في العدد الأول من سنتها الأولى ( ربيع الأول/ جوان 1388هـ / 1968م)

ولم يسبق نشره في ما صدر لفضيلته من مؤلفات في قائم حياته وبعد وفاته نعيد نشره تعميماً للفائدة واستجابة لطلب بعض القراء باعتبار ان العدد الذي تضمنه هذا المقال في حكم النادر و لان مشروع اصدار المجموعة الكاملة لجوهر الاسلام لم تيسر أسبابه بعد نسأل الله ان يعين على ذلك. وكما يقال «مالا ما يدرك كله لا يترك بعضه».

وفي هذا الاطار نسوق للقراء بشرى قرب اصدار الكتاب التذكاري لفضيلة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله متضمناً ما خص به جوهر الاسلام من مقالات وبحوث ومنها مقال (منهج الثقافة الإسلامية) والاعداد الخاصة التي أصدرتها جوهر الاسلام في ذكرى الأربعين وما تلاها من الذكريات مثلما اننا نعدّ بعون الله وتوفيقه لاصدار كتاب تذكاري لمؤسس المجلة فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله لعله يكون مقترنا باصدار اعماله الكاملة (من تفسير وبحوث وبياناته ومشاركاته في المؤتمرات والملتقيات في الداخل والخارج واشعاره وغير ذلك) وسيصدر الكتاب التذكاري على الأقل باذن الله تزامناً مع احياء ذكرى مرور 100 سنة على ميلاده رحمه الله (2023/1923) وهي مناسبة سنعد العدة للاحتفال بها ترسيخاً لما سبل الشيخ الحبيب رحمه الله حياته له من تقديم للإسلام بسلوكه و اخلاقه ومواقفه وبلسانه وقلمه في صورته الجميلة اسلام السماحة والوسطية والاعتدال. اسلام التلازم بين التمسك بالدين والحب للوطن حب الوطن وعند كل المدرسة الزيتونية (قلبا وقالبا وشعارا وممارسة) من صميم الايمان. اسلام البعد عن الغلو والتعصب والتطرف وذلك هو الخط الذي تمضي فيه جوهر الإسلام بقناعة راسخة وخطى ثابتة وقبل ذلك بإخلاص لا تشوبه اية شائبة مصداقاً لقوله جل من قائل (ان اريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله).

كما يتضمن هذا العدد آخر ما كتبه وادلى به من بيانات في قضايا مستجدة مستحدثة ونوازل مثل الصيرفة والمعاملات المالية والمناخ والبيئة كل من فضيلة العلامة الشيخ عبد الله بن بية رئيس منتدى تعزيز السلم وفضيلة الامام الأكبر الدكتور احمد الطيب شيخ الازهر وما يصحح به المفكر الهندي وحيد الدين خان رحمه الله من مفاهيم تحرص جوهر الإسلام على تعميم الإفادة بها من ذلك كتابه الهام «عصر السلام» الذي قدمته جوهر الإسلام هدية لقرائها مع العدد 7/8 من السنة 20.

عدد جديد من مجلة جوهر الإسلام بين يديك أيها القارئ حافل بالمواضيع المتنوعة نرجو ان ينال منك الرضا والقبول والتفاعل الذي يعيننا على مزيد الاضافة والله الموفق والمسدد والمعين ومنه سبحانه وتعالى يرجى الجزاء والثواب.

**رئيس التحرير**



## خُصُوصِيَّتِي مَعَ مَجَلَّتِي «جَوْهَرُ الْإِسْلَامِ» الْغُرَّاءُ

بقلم الأستاذ : صالح العَوْد

- كَتَبَ مِنْ بَارِيسِ الشَّيْخُ صَالِحُ الْعَوْدُ (عَفَا اللَّهُ عَنْهُ)، مَا يَلِي :
- تدخل مجلة جوهر الإسلام - التونسية المنشأ والمصدر، لصاحبها: العلامة المصليح في العصر الحديث: الشيخ الحبيب المستاوي (من مواليد تطاوين في الجنوب الشرقي التونسي سنة 1342 هـ = 1923 م) وهو خريج جامع الزيتونة: منارة العلم والعلماء في المغرب والمشرق، والمتوفى سنة 1395 هـ = 1975 م - عامها (الواحد والخمسين) بهذا العدد الجديد الذي بين يديك.
  - كُنْتُ وَلَا زِلْتُ أَتَذَكَّرُ: أَنَّ الْعَدَدَ الْأَوَّلَ مِنْهَا - والذي صدر في (شهر ربيع الأول عام 1388 هـ = جوان 1968 م) قد وقع بين أيدينا: نحن مجموعة من طلبة المعهد الثانوي في مدينة صفاقس، وقد كنا نتداوله بيننا بشغفٍ مُلِحٍ قراءة ثم تعليقاً أو استنتاجاً، لِمَا يَحْمِلُهُ مِنْ (مقالات)، و(دراسات)، وأنباء وأخبار، عما يجري في أرجاء العالم الإسلامي يومَ ذاك، وهي الصَّفحة الأخيرة في العدد من المجلة. وَلَا زِلْتُ حَتَّى الْيَوْمِ أَحْتَفِظُ بِالْعَدَدِ (الأول) الْأَصْلَ مِنْهَا، والذي يَقَعُ فِي (50) صَفحةً باللغة العربية، والمُلحق بالفرنسية في (14) صفحة.
  - وقد وضع منشئها المصليح: الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله: (مديرها ورئيس تحريرها) في أَعْلَى عنوانها البارز، الآية الكريمة والعظيمة، وهي قوله تعالى:



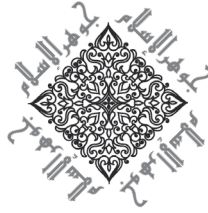
«ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون».

• ولما هاجرتُ إلى خارج أرض الوطن، كنتُ أَتَلَهَّفُ على حُصولها من أجل مطالعتها، والاستفادة من مقالاتها القيِّمة والفائقة بأقلام كُتَّابٍ مرموقين كبار، يواظبون على الكتابة فيها، ممَّا يرفع من مستوى المجلة، كما يجعل الإقبال عليها مَطْلَبًا حَتْمِيًّا، فضلاً عَمَّا تُعْمِلُهُ من فِعْلٍ جادٍّ في الإصلاح الاجتماعي، أو التربية الأخلاقية، أو التوجيه الحسن، فيُرفع ذلك من مستوى الأمة المسلمة : العلمي، والديني، والثقافي، والبيئي، والأسري، أينما وصلتُ وكلَّما حلَّت في المجلة العتيدة والمفيدة، فهي حق شعاع في كل الآفاق.

• ولما صدرتُ لي في الآونة الأخيرة عدَّة «مؤلَّفات» في شتَّى الموضوعات، وبعد أن أصبح عندي فائض منها، عزمْتُ على إهدائه للسادة القراء الأفاضل، والسيدات القارئات الفضليات، مساهمةً بسيطة، ومساندة لطيفة - (مَنِّي) - لمجلَّتنا الشريفة، بعد أن أصبح لها حق نحو قُرَّائها الأماثل، ممَّن يتابع صدورها، ويترقَّب ظهورها، ويحرص بجدٍّ على اقتنائها دون تباطؤ، ولا نسيان، حتى تستمرَّ في عطائها المثمر، في ظل الأستاذ المفكِّر: السيد محمد صلاح الدين بن الحبيب المستاوي وهو (مديرها ورئيس تحريرها) الحالي، حفظه الله وأعانه على شؤونها: المادية والمعنوية معاً، وما أشقَّهما عليه، لِمَن يُحسُّ بكساد العلم، وجفاف المطالعة والاطلاع الورقي، وما ينجم من الإعراض عن شراء الكتب أو المجلات النافعة في عصرنا.

• ولما أقام الأستاذ محمد صلاح الدين (خمسينية) مجلَّته الغراء: جوهر الإسلام في (تونس) العاصمة، ثمَّ في (تطاوين) مسقط رأس مُنشئها، دعاني فحضرتُ وحاضرتُ، ثمَّ رأيتُ من الجميل والبرِّ بالمجلة ومنشئها، وكذلك الوفاء والتقدير للجهود المبذولة في استمرارية صدورها، دَعَوْتُهُ أنا إلى إقامة احتفالية (ثالثة) لخمسينية المجلة في باريس، تحت إشراف: (مركز التربية الإسلامية) الكائن بضواحي باريس عام 2018م.

• وأخيراً، ربما يلاحظُ عليَّ السادة القراء، أن لي مقالين اثنين في كثير من أعداد المجلة، وهي (خصوصية) منَحني إياها مديرها ورئيس تحريرها، بارك الله فيه وأثابه، لأنني أكتب في عديد المجلات الصادرة في الشرق، فاستجبت لهذه (الخصوصية)، ورأيتها منحة، بل هي عندي أولى من الكتابة والمشاركة بمقالاتي في مجلاتٍ غيرها.



## تفسير آيات من القرآن الكريم

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (47) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (48) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَآثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَآثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50) وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (51) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53)﴾ (سورة الشورى)

اخي القارئ ما نزال ننبع آيات سورة الشورى التي تكشف حقائق الظالمين وتخليهم يعرضون على جهنم خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي ولم يجدوا

من يغيثهم وينصرهم من دون الله من أولئك الذين كانوا يحسبونهم على جانب من القوة والاقدار. وما بعد هذا المشهد المريع إلا أن تتهيا النفوس للاستجابة إلى داعي الهدى قبل فوات الابان فلنستمع إلى رب العزة ينادينا إلى اغتنام الفرصة ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ اجيبوا داعي الحق وتوجهوا إلى الله بقلوبكم وابدانكم ومهجمكم واخلصوا النوايا وادخروا لديه ما ينفعكم في عاجلكم وأجلكم وما يقيكم المعاطب ويجنبكم المزالق واعلموا أن من زرعوا التسويف والتفريط حصدوا الندامة والخيبة وما العمر الا كالذهب لن يعود منه ما ذهب، ومن أمهله الله واعذره وانذره فسوف يجيء يوم لا مرد له يجرد فيه الانسان من كل حول وطول ولا يجد مساعدا ولا ظهيرا إلا ما قدمت يداه .

وسواء جعلنا هذا اليوم هو اليوم الموعود وهو واحد لا يتكرر أم جعلنا اليوم هو يوم انتهاء الامهال والاعذار وهو يتدئ من انتهاء الحياة يوم يطفح الكيل، ويعم السيل ويأخذ الجبار اعداءه اخذ عزيز مقتدر فالنتيجة على الحالتين واحدة هي انتهاء امد الانتظار ثم نزول العقاب الصارم بمستحقه. ويتوجه المولى سبحانه وتعالى بعد ذلك إلى تطمين نفوس المخلصين في دعوتهم إلى الله المتحرفين إلى تحقيق الهداية لكل ضال مزيلا عنهم كل حرج وضيق يشعرون بهما من جراء عناد المعاندين وللد المتلذذين فيقول ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ اجل ما على الرسول إلا البلاغ، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ليس هناك من حفيظ إلا الله وحده أما الرسول والمصلحون فمبشرون ومنذرون اصطفاهم الله من خلفه ليكونوا دعاة له ومرشدين إليه، وينتقل سياق الايات إلى معالجة ظاهرة اجتماعية بشرية خطيرة طالما الح الاسلام على التنبه اليها حتى يمسك العقلاء توازنهم في حالتها الضيق والسعة والفرج والشدة فيقول ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ لله ما اروعها من آية وما احكمه من تخطيط ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا﴾، انظروا إليه سبحانه وتعالى كيف يجعل خيره مبسوطا بالنعيم ووافر السعادة في الدنيا هو مجرد تذويق إذا ما قيس بالنعيم الدائم الخالد الذي لا تنغصه حسرة ولا يكدره خوف وتاملوا معي رعاكم الله كيف جعل الفرحة بالنعمة عيبا يستحق صاحبه التائب واللوم فهل هو مجرد الانبساط والمسرّة كلا ان الفرحة اهتزاز وانتفاش وذلك لا يحبه الله الذي يقول في آية أخرى ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾

﴿وَأِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ انه ليؤوس قنوط نعم فهو الانسان الذي إذا مسه الخير منوع وإذا مسه الشر جزوع وهو الذي يقول فيه الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٌ﴾ اجل إذا مسه الشر الذي كان وحده السبب فيه رغم جحوده وكنوده فانه وايم الله لكفور جحود، يحاول أن يلتمس من تبعات اعماله ومسؤولية اقواله ليظهر في حالات القصاص والاقتصاص بمظهر الضحية أو الحمل الوديع في حين انه هو الذي كان بالامس يملأ الدنيا فياشا وانتفاخا. وبعد كل هذا ينتقل سياق الايات إلى بيان القدرة الإلهية الشاملة الكاملة التي تتصرف وحدها في الاكوان ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا لَهُ إِهْبَاءٌ وَمِنْ يَشَاءُ أُنثَاءً وَمَا يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ نعم لقد تقدم العلم ما تقدم وسوف يتقدم أكثر فاكثر بيد انه لم يستطع ولن يستطيع ابدا أن يبدل الاجنة في بطون امهاتها أو أن يجعل العقيم ينجب بنين وبنات، وبهذا وحده يكفي دليلا لعجز البشر امام قدرة ربه العظيم الذي تفرد بالعلم المحيط والقدرة التي لا تحد. ثم ينتقل سبحانه وتعالى للرد على اليهود الذين طلبوا من النبي أن يكلم ربه ويراه نظير ما وقع لموسى فنفى سبحانه وتعالى الرؤيا والكلام المباشر إذا قال ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾:

اي هدي افضل من هدي الرسل الاطهار واي كتاب أعظم من كتاب محمد المختار فهو الذي يهدي البشرية إلى الحنيفية البيضاء إلى دين الفطرة البشرية النظيفة إلى الخير الدائم والسعادة السرمدية، فمن شاء فليؤمن ومن يشاء فليكفر، وماذا بعد الحق إلا الضلال فاني تصرفون .



## منهج الثقافة الإسلامية\*

بقلم فضيلة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور (رحمه الله)

ان اليقظة التي شملت العالم الاسلامي في هذا القرن- بعد القرون التي تصرمت عليه في الغفلة والركود- قد اوجدت له قضايا عويصة، ومشاكل معضلة ولقد كان من استعظامه لتلك القضايا، واهتمامه بتلك المشاكل، ما اوقعه في حيرة شديدة، واضطراب هائل، اذ اعتقد ان تلك مصائب جديدة نزلت به في هذا القرن، ولم تكن قائمة به في القرون المنصرمة فاخذ يتحسس مواقعها من نفسه، ويتطلع الى معرفة اسبابها ومناقشتها وما هو في اعتقاده ان قضاياها ومشاكله من ولائد القرن الحاضر، الا في مشكلة لعلها راس تلك المشاكل، ومعضلة المعضلات مما يالم له ويهتم به، ويغتم لأليم وقعه، فان ما يحسبه مصائب جديدة نزلت به في هذا القرن، ليس في الحقيقة الا مصائب قديمة، وادواء مزمنة، كانت قائمة به من قبل، ولكنه كان في حالة الاغماء التي هو مستغرق فيها، لا يحس بتلك الادواء ولا يابه لآلامها ثم ان الحاح الداء، وتوالي الاوجاع والايصاب، قد افاقه من اغمائه، وصيره يحس بما لم يكن يحس به، ويالم لما كان يحول دون تالمه له غشاوات من الغيوبة والخدر والاعماء

(\*) هذا المقال نشر في العدد الأول من السنة الأولى للمجلة (جوان 1968) نعيد نشره إستجابة لطلب بعض القراء علماً وأنه سيكون ضمن مادة الكتاب التذكاري للشيخ محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله الذي نعزم اصداره قريباً بإذن الله.

والحمى فكان اشتداد الالم بجسمه، وفداحة وقعه من حسه، تتقدم وتقوى على نسبة ما تزيد الافاقه، وتتقدم اليقظة.

ومن اشد هذه الآلام مبلغا في نفسه، وامرها عنده، واضرها به، تلك التي يدعوها، حين يشكوها: المشكلة الثقافية.

فلقد احس بها اول ما احس به من الآلام في استفاقة من غيبوبة المرض. وكان احساسه بها احساسا غامضا مختلطا، على حسب حاله الاولى من الانتباه الناقص، وهو بين نوم ويقظة. فكان يشكو ضعفا في الثقافة، وتعطشا الى المعرفة، اضنيانه وبرحابه حتى صار يتغنى في شكواه بالعلم، ويستولد من ضعفه قوة، ومن فتوره نشاطا ليقبل على العلم يتناوله بنهم وقرم.

لقد كان يستشعر ان عدوه الذي نال منه، وقرنه الذي صارعه حتى صرعه، هو اروبا، لم يغلبه الا بالعلم، وان العلم سلاح كان بيد المسلمين، فكانت به صولتهم على اروبا، وغلبتهم اياها، وانه انتزع من يد المسلمين، فاستقلت به اروبا، وفازت به وغلبت، فما علينا الا ان نسترد سلاحنا، ونستعيد عدتنا لننال من عدونا نيلا، ولقد كان هذا في جملته حقا. فان اروبا المسيحية، بشديد غيظها على الاسلام وصولته في القرون الخمسة الاولى من التاريخ الهجري، قد لمت شعثها، واجمعت امرها، واملت ان تبلغ من الاسلام فرصة في الحروب الصليبية، ولكنها ارتدت بغيظها، لم تنل خيرا، وقطع دابر الصليبيين، في القرن السابع، بالشرق والمغرب، ومن يومئذ ايقن هؤلاء المنهزمون بان لا امل لهم فيما يترصدون للاسلام، الا اذا هم اخذوا بايديهم ذلك السلاح العزيز: وهو العلوم الاسلامية.

فبدأت من منتصف القرن السابع حركة الاقتباس من المعارف الاسلامية، ونقل المهم من اوضاعها في الحكمة والعلوم الرياضية والطبيعية فنقل زبيح البتاني بواسطة الفنش الحكيم، وخاض توما الاكويني وروجي بيكون في مسائل الحكمة الاسلامية، وتاسس مركز الدراسات العربية في ميورقة بسعي رائد الاستشراف (ريمندل)، وترجم اليهودي فرج بن سالم الى اللاتينية كتاب «الحاوي» في الطب للرازي بصقلية. وهكذا تواصل انكباب اروبا على تحصيل العلوم ونقلها واطرد سيرهم في طريق الاستكمال العلمي، والاستنارة الفكرية طيلة القرنين الثامن والتاسع، فشاعت حكمة ابن رشد وابن سينا، وتاسست الجامعات، وظهرت الطباعة، وجاءت الاكتشافات الكبرى: في العلوم والآلات، وطرق المواصلات، التي قامت بها النهضة الاروية

في القرن العاشر للهجرة، وابتدأ بها ارتقاء اوروبا على العالم الاسلامي، وظهور المساعي الاستعمارية وسرعان ما بدأ العالم الاسلامي يتحفز للاقتباس عن اوروبا في تلك العلوم التي تداولت بين العالمين فظهرت آثار النقل في اثناء القرن الحادي عشر اذ بدا منها كاتب جذلبي مشهور بـ «حاجي خليفة» ينقل الى اللغة التركية: صورة الارض الجديدة عن اطلس ميركاطور، ونظريات كوبرنيك في الهيئة ثم ظهرت الطباعة في تركيا اوائل القرن الثاني عشر وتوالى نقل النظريات الجديدة في العلم، واقتباس المستحدثات العلمية والآلية عن اوروبا طيلة القرون الثلاثة الى يومنا هذا، شاملا للبلاد الاسلامية جمعاء ولكن الذي يلاحظ هنا بمزيد من الاستغراب: ان هذه الحركة التي تداول فيها العالمان: الاروبي والاسلامي، هذا التراث العلمي، ثلاثة قرون بثلاثة قرون، لم تكن نتائجهما بين العالمين متساوية ولا متقاربة، بل كانت في ما يظهر للعيان متعاكسة، فاذا كان اقتباس الغرب عن الاسلام قد افاده تقدما واستقلالاً وتفوقاً، فان اقتباس الاسلام عن الغرب لم يفده عزة ولا استغناء ولا ارتقاء بل اصابه بخنوع متواصل وتبعية متظاهرة. وما زاده الا خبالاً. ومن هنا تبدو المشكلة الغربية في حياتنا الثقافية، التي تحملنا على التامل في الاسباب التي جعلت ثقافتهم تزكو بالاقتباس عنا، وثقافتنا تذبل بالاقتباس عنهم، وترجع بنا الى التساؤل عن الشيء الذي اضعناه، لما تضعضعت سيادتنا الفكرية، وركدت ريح المعارف بيننا، فلم نهتد اليه، ولم نستطع ان نسترده فيما استرددنا؟ لا شك ان البرهان التجريبي يفيدنا ان ذلك الشيء الضائع ليس هو المعارف، لأننا حين استرجعنا المعارف، او قطعنا شوطاً في سبيل استرجاعها، لم نعد سيرتنا الاولى، ولم نقرب ان نعود اليها. فلنبحث، حينئذ، عن المنهج الثقافي الذي تقوم به سيادتنا الفكرية القديمة، والذي كانت عناصر المعرفة منتظمة به، انتظاماً الف بين موادها، وجمع بين عناصرها، هل استعدناه في ما استعدنا، او هل هو الذي لم يزل مفقوداً منا، بعيداً عنا؟

لا جرم ان مدلول «الثقافة» غير مدلول «العلم» و«المعرفة» فاذا كان «العلم» او «المعرفة» عبارة عن ادراك الحقائق الذهنية المتعلقة بالمطالب النظرية او العلمية التي تتكون منها مواضيع العلوم، فان الثقافة هي الملكة التي يحصل بها ذلك الادراك، والاسلوب الذي يقع به الوصول الى المعارف وتحصيلها، وتاليف بعضها ببعض، على نحو ينشأ من الشخصية القومية، ويرتبط بها، ويعود اليها، فاذا كانت العلوم

مشاعة لا تعرف عصبية ولا اوطانا، فان الثقافات تختلف باختلاف الشخصيات القومية، وتباين مقوماتها.

وان الثقافة الاسلامية ذاتية للإسلام، ناشئة من خصوصيات تعاليمه، وخصوصية المناهج التربوية التي كونت بها الدعوة الاسلامية «أمة الاسلام» فرديا واجتماعيا، في الاعتقاد، والفكر، والسلوك. وبذلك كان للثقافة الاسلامية منهجها، الذي اختلف عن جميع المناهج الثقافية، وسارت به المعرفة والحضارة، في تاريخ الاسلام سيرة ذات مميزة، هي التي بها برز التفكير الاسلامي على النحو الذي برز عليه في التاريخ الوسيط وهذا المنهج الثقافي الاسلامي يقوم من خصوصيات تتحقق من تلاقيها وتفاعلها ماهية الثقافة الاسلامية وتعتمد تلك الخصوصية على اربعة اركان: الروح والمادة والوضع والحركة.

اما الروح فتتولد من النظر وهو الفكر الذي تطلب به المعرفة من حيث كونه اول واجب ديني، وبه تقع ملاحظة المظاهر الحسية للكون ملاحظة تنتقل بالادراك من المحسوسات الى المجردات فتجعل المحسوس وسيلة للعلم العقلي، ولذلك سمي مجموع الكائنات الحسية «العالم» لأن العلم يقع بواسطته. اما المجرد فهو الغاية المطلوبة للادراك العقلي وتنتهي الى اثبات الخالق، وارجاع مبدأ الكون ومعاده اليه، والافتناع باتباع اوامره ونواهيه التي ياتي بها الوصي من طريق النبوة. واما المادة فهي جميع المعارف التي يمكن ان يتوصل اليها الفكر الانساني: من عقلية ونقلية، بين اسلامية خاصة، وهي التي نشأت من الاسلام وتعلقت بحقائق دعوته، وانسانية عامة، وهي التي نشأت من طبيعة التفكير والبحث الانسانيين، غير متوقفة على دعوة الاسلام، ولا متعلقة بحقائقه.

واما الوضع فهو الصلة التي تربط بين جميع هذه العلوم: الاسلامية الخاصة، والانسانية العامة، فيما بين بعضها وبعض، بتلاقيها في الغايات، حيث ترجع كلها الى تحقيق القصد من النظر في وسائله او في مقاصده، وبتحاد مقدماتها، اذ تطلب كلها بداع واحد من الدين. وباشتراك نتائجها، اذ تؤدي كلها الى خدمة الحقيقة الدينية، من عديد جهاتها. وبذلك يحصل بين العلوم كلها صورة من التكامل الذاتي، يكون بها كل علم مستندا الى غيره، ومستندا غيره اليه، على الصورة التي برز عليها وضع العلوم في كتب الكلام الاسلامية العليا، متسلسلا من الحكمة العقلية والاخلاقية،



الى الحكمة الطبيعية، الى العقائد الدينية عقليةا وسمعيةا او التي برز عليها التواصل الفكري بين مباحث العلوم كلها وروح القرآن في تفسير الامام فخر الدين الرازي.

واما الحركة فهي عبارة عن الدوران المستمر، الذي تدور عليه العلوم كلها بصورة تجعل حركة كل واحد منها مرتبطة بحركة سائرهما، بحيث لو توقف واحد منها وقفت الحركة الدائرة اجمعها، والدافع لهذه الحركة العلمية هو المبدأ الايماني الذي به طلبت العلوم واليه تتجه نتائجها، فاذا نحن لاحظنا باعتبار وضع العلوم عندنا، بعد استرجاع ما غاب عنا منها عند الاوروبيين، يتبين لنا ان العلوم رجعت الينا تسير على منهج غير الذي كانت تسير عليه قبل ان تفارقنا، وانها بسيرها على غير منهجها الاصلي الذي انطبعت عليه وتطبعت به قد اصبحت مفتتة منفردا عقدها، تفقد ما كان يؤلف بينها من تناسب وانسجام، وما كان يؤلف بينها وبين الشخصية الاسلامية من تجاذب طلب واستجابة، فصارت عناصر الثقافة الاسلامية العامة مصطكا بعضها ببعض متنافرة، متضاربة بين علوم دينية، وعلوم طبيعية ورياضية وانسانية، سميت العلوم العصرية، حتى كان الدين ينكر العصر، والعصر ينبو عن الدين، خلافا للوضع التكاملي الاثنافي الذي كانت عليه من قبل، كما يقتضيه منهج الثقافة الاسلامية ومن هناك اصبحت العلوم الدينية في انفصالها، قصيرة مدى التأثير في الفكر وفي السلوك، لأن ناحية من التفكير قد حجزت عنها، وناحية من السلوك قد شذت عن التأثير بها فاتجهت صور من الافكار على خلاف ما تقتضيه مدارك العلوم الدينية، واتجهت صور من الحياة العملية، كذلك، على غير ما يتلاقى مع روح الدين وآدابه فتراجعت بذلك قيمة العلوم الدينية، وتقاصر مقام العالم الديني، وتخلّى «قسر» عن التأثير في مقام القيادة الاجتماعية واصبح منغصا لحياة الدين، منغصا هو ايضا بصور حياتهم. والعلوم العصرية، هي ايضا فصلت عما كانت عليه من الاتصال بالفكرة الدينية واستقطابها، فانحطت منزلتها من النفس المسلمة، واصبحت منظورا اليها باعتبار غاياتها العملية، معتبرة بذلك اعتبار الصناعات، فخرجت عن المنهج العلمي الاسلامي، اذ اغفلت فيها الغايات الدينية السامية، واصبح متعاطيها في نسبه من نفسه ومن نفوس اخوانه المسلمين، كانما يسد له ولهم عوزا ماديا، فلا يشعر بما ينبغي ان يشعر المثقف، من سمو ادبي، واعتبار روحاني، فلم ينشط لها، ولم يقو على التطور بها، ولا اضطلع بالانتاج فيها، كما كان المتعاطون لها من قبل على منهج الثقافة الاسلامية.

وجاءت الثقافة الغربية الى العالم الاسلامي وهو على هذا الوضع الفكري المفكك المذبذب، فنفتحت في روح تلك العلوم العصرية وقامت المدارس الاروبية في بلاد الاسلام بتلقيها باللغات الاجنبية، وعلى مناهج خاصة بتلك الثقافة المختلفة عن منهج الثقافة الاسلامية، فبدا من اهمية تلك المعارف ونجاعتها في الحياة العملية ما لفت انظار المسلمين اليها، فاولوها عناية زائدة، واعطوها قيمة ذاتية مطلقة، باعتبار موقعها من الحياة العملية، غير مراعين ما لها من قيمة نسبية في حياتهم القومية، بمقوماتها الفكرية والروحية فاصبح منهج الثقافة الاسلامية معطلا، اذ اختل فيه ثلاثة اركان من اركانه الاربعة وهو ركن الروح، وركن الوضع وركن الحركة واصبحت تلك العلوم، بموقعها الجديد من نفس المسلم، تنازعه الى مناهج من التفكير والاحساس والسلوك، تبعد عن منهج ثقافته الذاتية، النابعة من شخصيته، وتبعد به عن بيئته حتى تكاد تجعله اجنبيا في قومه.

ونفض المسلمون ايديهم من تلك المعارف من حيث كونها «كمالات قومية روحية» فلم يطلبوها الا من حيث كونها ضرورات عصرية مادية وتلك هي الصبغة التي اصطبغت بها المحاولات الاولى، من اوئل القرن الثالث عشر، في تركيا ومصر وتونس، اذ طلبت لتنظيم الجيش وتكوين الاطباء والمهندسين ورجال الادارة، فلم تكن محاولات مفلحة، ولم تحقق ما طلب بها من عزة وسيادة لانها بقيت معتبرة اعتبار العواري الوقتية، لا اعتبار الممتلكات الذاتية الثابتة.

وهكذا توزعت الشخصية الاسلامية، بين خطين متوازيين، لا يلتقيان ابدا: خط المعارف الدينية، وخط المعارف العصرية، فلم تكن تجد حقيقتها في هذا ولا ذاك، ولم تكن تجد الاطمئنان الى متابعة سبيل يفصلها عن نفسها، ولا الى متابعة سبيل يفصلها عن عصرها. وتكونت من هذا التوزع حالة نفسية غريبة من التطلع الى كل من الطريقتين عند متابعة الطريق الموازية لها، وتولدت من هذه الحالة فكرة الموازنة بين الثقافتين، او بين العنصرين من المعرفة، والصورتين من التعليم، واتخذت هذه الفكرة من الموازنة والمقارنة اساسا لمذهب الاصلاح الفكري الاسلامي الذي نادى به الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في اول القرن الحاضر. فكانت دعوته دعوة الى تجديد منهج الثقافة الاسلامية بضم عناصر مادتها بعضها الى بعض، والجمع بين العلوم الدينية، والعلوم العصرية في نظام تعليمي واحد وبتسليط روح المنهج الثقافي الاسلامي على تلك العلوم العصرية التي كانت تطلب بروح اخرى تعزلها عن روح

المنهج الاسلامي فكان اول محاول لاقرار الوضع التناسبي بين العلوم العصرية، في محاولته ادخال العلوم العصرية، في مناهج التعليم الازهري، وادخال العلوم الدينية في مناهج التعليم العصري، كما افصح عن ذلك جليا في محاضراته بتونس، في الجمعية الخلدونية، سنة 1231، عن العلم وطرق التعليم. وكان قبل ذلك قد نبه، في تقريره الذي رفعه الى مشيخة الاسلام في دار الخلافة العثمانية، الى الخطر الظاهر في تكوين شباب اسلامي في المدارس العسكرية، تكويننا لا يمت الى روح الاسلام وعلومه بسبب، حتى توقع في تقريره ذلك، بنافذ بصره، كل ما حاق بالبلاد التركية بعد من احوال الانقلاب الكمالي، الذي كان نتيجة التكوين المنقوص. الا ان هذه المحاولة الاصلاحية الرشيدة قد طغى فيها احد الشقين على الآخر، فاخذ منها بجانب ادخال التعليم العصري الى الازهر، ولم يبرز منها كما ينبغي جانب ادخال التعليم الديني الى المدارس العصرية، فقضى عليها غموض القصد، وسوء التطبيق. وبقيت العلوم العصرية ينظر اليها بالاعتبار الذاتي المطلق، لا بالاعتبار النسبي، واستمرت في عزلها عن الغايات المتناسبة مع الشخصية القومية الاسلامية كانما تطلب لذاتها باعتبار عملي لا ثقافي، وعلماني لا علمي، وبقيت الشخصية الثقافية الاسلامية ناقصة، مختلفة الاعتبار العلماني الذي ساد على عنصر هام من عناصر الثقافة وامتلك عنصرا ذا بال من عناصر المثقفين.

ومن هنا يبدو ان قيام المنهج الثقافي الاسلامي، باكتمال اركانه، هو الكفيل بان يعيد للعلوم منزلتها من نفوس المسلمين، وان يمكن لهم بسببها ما لم يزلوا يتحرقون عليه من نهضة وسؤدد، اذ اصبحت روح العقيدة الاسلامية هي الدافع الى طلب العلم، والجامع لعناصر المعرفة، والممكن لتلك العناصر من وضع التواصل والتلاقي، والمحرك لها حركة الدوران التي تعيش بها متفاعلة غير متوقفة. هنالك يعود العالم الاسلامي الى الاصال الفكرية وينزع عن التقليد وتبدو عبقريته بالاسلام كما بدت به اولاً، اذ يستمد من ذاتيته الاسلامية، روحا ثقافية متجانسة مع روحه الاعتقادية، تجعل التعليم الاسلامي باللغة القرآنية اصلا للتعليم في مراحل كافة، ينمو مع نمو الفرد طبعاً وفكراً، ويمتد الى طلب المعارف واللغات طلباً حثيثاً بدافع من الذات ولغاية زكية سامية من الدين، فيدرك ان المنهج الاسلامي هو منهجه الاصلي لا التقليدي وانه لن يبلغ مبلغ الامم التي يتطلع الى اللحاق بها الا اذا طلب العلم على منهجه الذاتي، وبدافع من نفسه، كما طلبت هي العلم على منهج ذاتي لها، وبداع من نفسها. سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.



## مستقبل التمويل الإسلامي في ظل التغيرات التي يشهدها العالم

بقلم فضيلة الشيخ عبدالله بن بيه

رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي

تمر البشرية بجائحة غير مسبوقة في التاريخ الحديث، أزمة من النوع الذي يختبر أخلاقنا وقيمنا وإيماننا. إنها تختبر أخلاقنا في التعامل فيما بيننا، في بيوتنا ومع جيراننا، هل نصبر وننشر قيمة الصبر والتضامن بيننا أم نخضع لليأس والقنوط؟

تختبر قيمنا هل نُعلي قيمة الإحسان والمحبة والإيثار مع القريب والغريب. إن هذا الاختبار ليس على مستوى الأفراد فقط وإنما على مستوى الدول أيضاً التي عليها مسؤولية مساعدة تلك الأقل ثروة وقوة والتي لا تتوافر لديها وسائل مواجهة الجائحة المادية والصحية.

إنه ما من منحنى من مناحي الحياة بمنأى عن تبعات هذه الأزمة وآثارها، فقد تسَلَّلت إلى أدق تفاصيل الحياة الإنسانية، وشملت كل النواحي، ومن ناحية المعاملات فقد أدت الحاجة إلى الإغلاق الكامل أو الجزئي إلى تعطل قطاعات كبيرة من الاقتصاد وفقد الملايين لأعمالهم كما أدت إلى تهديد قطاعات كاملة بالانهيار. ونتيجة لذلك فقد تأثرت العقود المُبرمة بين القطاعات المختلفة فيما بينها وبين الشركات والأفراد مثل عقود المقاولات والتوريد والتوظيف. وقد أثارَت هذه التغيرات أسئلةً فقهيةً حول إمكان تأخير الزكاة عن وقتها لصالح أرباب المال جراء نقص السيولة وكساد السلع أم يكون تعجيلها لفائدة المساكين وجيها بسبب تفشي البطالة جراء إنهاء خدمة العمال

وتسريحهم من وظائفهم. مما يوجد اجتماع المانع والمقتضي لا بالمعني الفقهي الأصولي ولكن من الناحية العملية مما يدعو إلى الاجتهاد وتنويع الحلول.

وفي هذا السياق كان لنا في مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي جهد واجتهاد معتبر في إصدار مجموعة من الفتاوى والبيانات لتوضيح الموقف الشرعيّ من عدد من القضايا ذات الصلة بالعبادة من صلاة وصيام وزكاة وأصدرنا فتوى حول استخدام اللقاح المضاد لفيروس كورونا، كما نظم المجلس بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي مؤتمراً دولياً حول «فقه الطوارئ» أوضحنا فيه يسر الإسلام وسعة الشريعة وقدرتها على استيعاب مصالح الناس في مواجهة الجوائح والأزمات.

وحيث لا يسمح المقام ببسط الكلام، ولا إيراد التقارير وروم التحريات، فسأكتفي في هذه السانحة بكلمات موجزات:

وفي ظل هذه الظروف والتغيرات العميقة ينعقد هذا المؤتمر ليناقد مستقبل التمويل في العالم ومستقبل التمويل الإسلامي على وجه الخصوص. ولاشك أن سؤال المستقبل دائماً سؤال حاضر خصوصاً في ظل الظروف المتغيرة ولكنه أيضاً سؤال صعب المراس، بعيد الغور. ومع ذلك فهناك توجهات عامة ومتغيرات مشهودة يمكن البناء عليها لتصور المستقبل ورسم خارطته.

ومن أهم العوامل المؤثرة في مستقبل المالية هو التطور التكنولوجي الذي ليس وليد اليوم فما نشاهده هو تراكمات لقفزات هائلة في مجال إدماج التقنية في قطاع المال على مدى العقود الماضية، لكن الجديد هو التسارع الذي شهدته السنوات الأخيرة وزادته الجائحة حضوراً وهو تقدم ما يسمى التكنولوجيا المالية (فنتك-Fintech) والتي أصبحت مجالاً متسارع النمو متنوع المنتجات، بالإضافة إلى الضيف الجديد غير المرحب به حتى الآن على مائدة القطاع المالي وأعني بذلك العملات الرقمية والتي تنمو بسرعة مذهلة وحجم مدهش يتناسب طرداً مع حجم تردد المؤسسات المالية في التعامل معها وعجز المؤسسات الرقابية عن سن تشريعات منظمة لها.

ومن العوامل الأخرى الملحة عامل الإستدامة والحاجة إلى الاستثمار في القطاعات البيئية الخضراء بالإضافة إلى صعود توجه التمويل غير المركزي الذي بدأ ينافس في بعض القطاعات التمويل التقليدي.

وأمام هذه المتغيرات والتحديات نتساءل كيف يمكن للتمويل الإسلامي أن يحقق أهدافه التنافسية ويبقى وفياً لمنبعه الأصيل وقيمه العليا وفي جاذبية المقاصد والنصوص الشرعية.

وإزاء ذلك نرى أن مستقبل التمويل الإسلامي يكمن في التركيز على ثلاثة عوامل هي الموائمة والملائمة والإبتكار. ونعني بالموائمة التعايش المسالم وبالملائمة التفاعل الملائم وبالإبتكار مجاوزة القديم إلى الجديد والتطوير والتجديد. ومن خلال ذلك يمكن للإقتصاد الإسلامي تلبية الحاجات الحقيقية للإقتصاد والتعامل مع الواقع الجديد للحركة الإقتصادية التي لا تعرف سكوناً والنشاط التجاري الذي لا يعرف راحة والمنافسة المحمومة التي لا ترحم خاملاً ولا كسولاً.

إنّ نظرنا لمستقبل التمويل الإسلامي، تنطلق من الوعي بأهمية التجديد والاجتهاد في الأحكام والنوازل إذ يجب ألا نغفل التأثيرات الحاصلة في الواقع، فالواقع شريكٌ في تنزيل الأحكام وتطبيقها، كما دلت على ذلك النصوص والأصول وأبرزته ممارسات السلف الراشد الاجتهادية وتنزيلاتهم الوقتية.

ولهذا فإن على المتعاطي مع فقه المعاملات أن يتعلم التعامل مع النصوص من خلال المقاصد والقواعد والوقائع، وأن يقتحم عقبة الفقه، فيفرق بين العبادات التي مبناها على التسليم وبين المعاملات التي مدارها على التعليل المعقول، ويتصرف وفق روح القيم النازمة للشريعة المطهرة وهي: الحكمة، والمصلحة، والعدل، والرحمة. كما يقول بحق ابن القيم. وباختصار، اعتبار المصلحة المتقاضاة بالعقل قبل النقل كما يقول العز بن عبد السلام في كتابه قواعد الأحكام.

وعلى كل حال، فإننا نرى أنّ القيمة المضافة للإقتصاد الإسلامي هي قربها وارتباطه بالإقتصاد الحقيقي وبالتالي حفاظه على السوق وخاصة في وقت الأزمات الناشئة عن مغامرات السوق كما ظهر في الأزمة المالية الأخيرة أي أزمة الرهون العقارية، وذلك من خلال بعده عن الغرر الكثير والجهالة. وكذلك استعماله مبدأ الغنم بالغرم أي الاشتراك في الربح والخسارة والمشاركات بشكل عام. وانطلاقاً من هذه المبادئ اقترحت المصرفية الإسلامية جملة من المنتجات المربحة بعناوين: «المشاركة» و«المضاربة» و«الاستصناع» و«الإجارة» و«المرابحة» و«السلم». إنها تقترح آليات للتمويل غير تقليدية وربما تكون معقدة بعض الشيء في البداية وربما ينظر إليها بأنها قديمة ولا تتلائم مع حركة ودينامكية الاقتصاد المعاصر وهو انتقاد مفهوم إلا أنها تمثل ملجأ في شيء من الأمان لرأس المال لأنها تعتمد على الاقتصاد الحقيقي ووراءها سيولة نقدية معتبرة؛ ولأنها قد تمثل نوعاً من الكوابح اعترف بعض الخبراء بضرورتها في مقابل السرعة المذهلة في خلق الأوراق المالية بدون أساس وفي ظل إجراءات رقابية قد تكون في بعض الحالات متراخية مما يؤدي بالمالية إلى أفق مجهول. ولذا فإن هذه المزايا المنبثقة عن القيم ينبغي الحفاظ عليها في وجه إغراءات الربح السريع وحركة السوق المستمرة.

وفي سياق الحديث عن المستقبل ، نعتقد أنه من الضروري في النظر الفقهي التعامل مع المذاهب الإسلامية جميعاً كمجموعة واحدة وبالتالي الاستفادة من الثروة الفقهية الكبيرة التي تزر بها هذه المذاهب دون تعصب ولا انغلاق على مذهب واحد. أملين أن توفر هذه النظرة المرونة المطلوبة للتعامل مع التحديات التي يشكو منها المتعامل مع الإقتصاد الإسلامي في ظل حركة الأسواق السريعة بحيث يمكن صناعة معايير تكون قريبة من الإقتصاد الوضعي الذي يقوم على حرية الأسواق موكلاً أمره إلى اليد الخفية حسب آدم سميث وفي نفس الوقت ليست منفصلة عن الإقتصاد الحقيقي الذي عليه اعتماد الإقتصاد الإسلامي.

وقد يقتضي هذا الأمر مرافعة طويلة لا يتسع المقام لها وقد قامت المجامع الفقهية مشكورة ببعض ذلك، ولكن سأطرق في هذا الصدد إلى مقترح واحد وهو تطوير معيار التوازن والتوسط الذي يقوم على الموازنة بين الثبات والتغير. الثبات الذي هو القرب من الإقتصاد الحقيقي والتغير الذي هو القدرة على مسايرة السوق مع الانضباط المطلوب. فيكون بذلك هذا المعيار طريقاً ثالثاً أو مذهباً ثالثاً.

فيُفرق فيه بين الجهالة والغرر الكثير والمتوسط والقليل في المعاملات والعقود، كما يفرق فيه بين المشقة والحرج يسيره وكثيره المترتب على فوات هذه المعاملات. فهل يلحق الغرر المتوسط بالكثير أم بالقليل وهل تضم المشقة المتوسطة الى المشقة العظمى أم تلغى مع المشقة اليسيرة وهنا مَجَرُّ عوالى اجتهاد العلماء ومجرى السوابق من خيولهم. والرأي أن يُمنع الغرر الكثير في المعاملات ويسمح بالغرر المتوسط والقليل. وتُلحق المشقة المتوسطة بالكثيرة فتتزل الحاجات منزلة الضرورات وتُلغى المشقة اليسيرة فلا تؤدي الى ترخص ولا إباحة لمنهي عنه وأصل الكلام للقرافي بتصرف اقتضاه المقام . وبهذا الشكل يمثل هذا المعيار وما ينبثق عنه من معاملات وعقود المرونة المتوخاة، في مقابل الانضباط والحرفية الذي يمثل الإبتعاد عن الربا والغرر والجهالة وأكل أموال الناس بالباطل.

وبهذا الخصوص يمكن الاستفادة من بعض مفردات مذهب مالك بن أنس الذي وسّع البيع بمعنى من المعاني فجعل مفهوم البيع هو العقد دون القبض على المشهور من المذهب وضمر الربا في تعامله مع قوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ مع الاستدراك على مسائل سد الذرائع التي تمثل الممنوع من الدرجة الثانية، ليكون ذلك منبهاً على ما تختزنه المذاهب الإسلامية المتعددة من إمكانات هائلة ومرونة عالية تسمح بالتعامل مع العصر.

وفي هذا السياق، يمكن العمل على معيار لبيع الديون يراعي الانضباط المطلوب ويسهم في مواجهة التحديات التي تطرحها السوق مثل عقود البترول والسلع



المختلفة في الأسواق الدولية وذلك وفقاً لمذهب مالك الذي يجيز ذلك مع شيء من الانضباط تمثله الشروط الخمسة لبيع الدين ومنها ثبوت الدين وإمكانية الحصول عليه في وقته لأنه يعتبر الدين مالاً موجوداً ويقدر المعدوم موجوداً.

وابتداء الدين بالدين الذي نعني هنا ليس هو بيع الكالئ بالكالئ، فبيع الكالئ بالكالئ عند مالك هو فسخ دين في دين، وأما ابتداء الدين بالدين فهو جائز عنده بشروط معلومة في السلم ومذهب سعيد بن المسيب جواز ذلك مطلقاً. حيث نقل عنه ابن يونس في كتابه «الجامع لمسائل المدونة» جواز تأجيل البدلين، وسعيد بن المسيب كما يقول الشيخ ابن تيمية أفقه الناس في البيوع، وهو عند أحمد بن حنبل أفضل التابعين. كما يمكن الأخذ ببيع الغائب الذي يجيزه مالك ببعض الشروط، باعتبار أن الخبر بمنزلة النظر، وهي قاعدة نادرة ذكرها الحافظ أبو بكر بن العربي في كتابه «القبس»، أي الإكتفاء بالخبر عن النظر، وبالتالي أجاز بيع الغائب بالوصف، والمغيب في الأرض من الثمار.

ولهذه الآراء الواردة في مذهب مالك أدلتها وأصلها في عمل أهل المدينة وليس هذا محل إيرادها. لكن المراد أن هناك أسساً يمكن البناء عليها لتطوير معايير جديدة تخدم التمويل الإسلامي مع الابتعاد عن المحاذير التي تتنافى مع التعاملات الإسلامية وهي الربا والغرر والجهالة وأكل أموال الناس بالباطل أو الثلاثي النكد كما نسميه، والتي ذكرها الحافظ أبو بكر بن العربي وسبقه إليها القاضي عبد الوهاب في كتابه التلقين. ولا شك أن مثل هذه المقترحات قد تحتاج إلى ورش ولجان عمل لتطويرها وتعميق النظر فيها، لكن ذكرناها هنا للتنبيه على مكنونات الشريعة السمحة وإمكانات الفقه الواسعة.

وباختصار، فإننا نهيب بإخواننا في الهيئات الشرعية بالمؤسسات المالية أن يفتحوا على الأقوال في المذاهب الإسلامية المتنوعة التي لها اعتبارها ودليلها المعبر ولا يمنعهم مذهب سبق إليهم، من النظر في مذهب آخر قد يكون أسعد بالدليل وأقرب إلى التأصيل وأسهل في التنزيل، وليس في المراجعة والتغيير عيب ولا نقص ولا تثريب.

وختاماً، فإن الحاجة ملحة لنظرة جدية ورؤية متجددة فيما يتعلق بالمعطيات الاقتصادية المعاصرة، بحيث يهتم الإقتصاد الإسلامي بتحديث الأدوات الإقتصادية والمعايير التنظيمية ليكون إقتصاداً منافساً وقيمة مضافة، محافظاً في خضم عمله التجاري على قيمه الأساسية، بما في ذلك الانضباط والشفافية وصيانة حقوق المتعاملين حتى تبقى شجرته شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.





## امتداد فكر الإمام الأشعري لدى المحدثين<sup>(1)</sup>

أ.د. أبو لبابة الطاهر صالح حسين

عضو اللجنة التنفيذية للرابطة العالمية لخريجي الأزهر.

كانت بدايات الاعتزال في أواخر القرن الأول منغمسةً في بحثٍ مسائل وقضايا وثيقة الصلة بمصير مرتكب الكبيرة التي فجرها الخوارج الذين كفّروه وخلّدوه في النار<sup>(2)</sup> مقابل المرجئة الذين أَرَجَوْوا أمرَهُ إلى الآخرة، ولم يَنْفُوا عنه الإيمان، لأنّ الإيمان عندهم خصلةٌ واحدةٌ هي الإقرارُ والاعتقادُ الذي لا يَضُرُّ معه عملٌ. وخالف المعتزلةُ كُلًّا مِنَ الخوارج والمرجئة وذهبوا إلى أنّ العملَ شرطُ صحّةِ الإيمان إلا أنّ مرتكبَ الكبيرة ليس كافرًا ولا مُؤمناً وإنّما هو في منزلةٍ بين المنزلتين، وخلّدوه في ضحضاحٍ من النار.

(1) شاركت بهذا البحث في مؤتمر «الإمام أبي الحسن الأشعري، إمام أهل السنة والجماعة نحو وسطية إسلامية تُواجه الغلو والتطرف»، بمناسبة مضيّ أحد عشر قرناً على وفاته» الذي نظّمته الرابطة العالمية لخريجي الأزهر الشريف في ملتقاها الخامس - القاهرة 8 - 11 مايو 2010م - جمهورية مصر العربية.

(2) إلى جانب قولهم بالتبرؤ من عثمان وعليّ وأصحاب الجمل وأصحاب صفين ومن قبل التحكيم، وقولهم كذلك بوجوب الخروج على الإمام إذا خالف السنة، وغيرها من ألوان الغلو والانحراف القاتل.

ومع تقدّم الزمن تشعبت اهتماماتُهم فصاروا يبحثون أسماء الله تعالى وصفاته ونعوتُه؟، وهل أسماء الله هي ذاته؟ وكلامُ الله هل هو قديمٌ أو حادثٌ؟ وهل في القرآن مجازٌ؟ وما المرادُ باستوائه تعالى على العرش؟ ونزوله إلى السماء الدنيا؟ ومعنيته الخلق؟ ورؤيته تعالى؟ والقضاء والقدر؟ والشفاعة يوم القيامة؟ والحوض؟ وعذاب القبر؟ وغيرها من المباحث الكلامية التي شغلت علماء الكلام وأصحاب المذاهب العقديّة وقد وجد فيها أصحابُ الأهواء فرصتهم الذهبيّة لنفث سمومهم ونشر ضلالهم.

وازدادت سطوة المعتزلة فانحدروا إلى بؤرة إرهابِ خصومهم ومن لا يُشاطرهم آراءهم وأهواءهم، حينما تمكّنوا من استمالة بعض الخلفاء العباسيين وعلى رأسهم الخليفة السابع المأمون بن هارون الرشيد الذي حكم عشرين سنة [198- 218 هـ] فاستمدّوا من سلطانه المطلق نفوذهم وسطوتهم. وفي هذا المناخ المربد نشطت الباطنيّة «تؤوّل القرآن والسنة على غير ما يُراد منهما، مكرّاً بالدين وصرفاً للناس عن هدايته، كما أنّ من يحنّون إلى أصولهم المجوسية منذ فترة عزّ البرامكة لم يدخروا وسعاً في الكيد للإسلام وحمايته<sup>(1)</sup>».

كما عرف العراق قلعة الخلافة ثورة الزنج، قادها عسيف [أجير] فارسيّ من الطالقان ادّعى أنّه من أحفاد زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وقد استولى على مناطق شاسعة من جنوب العراق ودخل البصرة سنة 257 هـ بعد أن خرّبها وقتل الآلاف من أهلها<sup>(2)</sup>.

وفي حدود 258 هـ ظهر باطني آخر هو حمدان قرط الذي يُنسب إليه القرامطة، وهو من دعاة الإسماعيلية [نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق توفي في حياة أبيه]، وقد لوّثوا الكثير من عقائد الناس وعاثوا في بلاد الإسلام فساداً، حتّى أنّهم استولوا على مكّة المكرمة ونقلوا منها الحجر الأسود ولم يُعيدوه إلا بعد اثنتين وعشرين سنة. وتحولت الساحة الفكرية إلى حلبة تصول فيها الآراء المخالفة لمذهب السلف الصالح وتجول، تحاول تأويل ظواهر النصوص بشكل يُعطّل أحكام الشريعة ويذهب ببهاء حكمتها. فكان مذهب السلف الصالح يئنّ تحت وطأة سطوتهم، وتوسّعهم في

(1) صفحة من حياة الإمام أبي الحسن الأشعري: 8 [بقلم الإمام الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر].

(2) هلك يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة 270 هـ ودامت دولته المأساة 14 سنة و4 أشهر و6 أيام.

تأويل ما لا يجوز تأويله ونفي ما هو ثابت قديم لله تعالى والنيل من أعلام الصحابة ورموز الإسلام، وشعر أهل السنة والجماعة بتجاوز أهل الأهواء حدودهم، وانتظروا أن يُقيض الله لهذه الأمة من يدفع عنها الضيم ويقمع البدع ويكشف ضلالها ويسقط حُجَجَهَا، ويُعلي دليل الكتاب والسنة، فكان أبو الحسن الأشعري الإمام الأجل الذي أحسن التعبير عن مذهب أهل السنة، وأعاد علم الكلام إلى أصالته وأزال عنه ما افتراه أهل الأهواء وزوروه من أدلة وبراهين واهية لا تقوم على أساس من كتاب الله تعالى ولا تستند إلى سنة صحيحة لرسوله ﷺ. فكان لسان الصدق الذي « أحسن التعبير عن مذهب أهل السنة والجماعة، وطهر علم الكلام مما أغرقته فيه المعتزلة والقدرية والمشبهة والباطنية من تأويل وغلو، واستمات في مجاهدة كل هذا الضلال حتى تمكن من قلب أمم كثيرة من جهة إلى أخرى فعُدَّ وبكل صدق وجدارة من أعظم الرجال<sup>(1)</sup> ».

### أبو الحسن الأشعري إمام الأمة

هو الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ فهو عربي صريح<sup>(2)</sup>.

ولد بالبصرة سنة 260 هـ وبها تلقى السنة عن أعلامها الكبار كالحافظ زكرياء ابن يحيى بن عبد الرحمن الساجي [ت 307 هـ] الذي أخذ عنه تحرير مقالة أهل الحديث والسلف، وأبي الخلف الفضل بن الحباب الجُمَحي البصري [ت 305 هـ] مسند العصر والمحدث المتقن الثبت، وسهل بن نوح، ومحمد بن يعقوب وغيرهم من أئمة السلف<sup>(3)</sup>. ثم رحل إلى بغداد وأخذ الحديث عن لقيه من علمائها حتى امتلأ وطأته وفاض، وإذا لم يُذكر رحمه الله في طبقات المحدثين فلأن همته لم تكن منصرفة إلى الرواية وإنما إلى تعرف آراء الفرق، والاجتهاد في نقض شبهها بالحجج الدامغة، يُعينه على ذلك غزارة علمه وحسن تصرفه فيه، وما حباه الله به من غيره على الحق يؤثره على رضا الأمراء، ومن شجاعة وحمية تدفعه إلى مقارعة مخالفه غير هياب ولا مبال بما لهم من سطوة وجاه ورئاسة.

وكان أبو الحسن الأشعري في مبدإ حياته على مذهب الاعتزال، ولزم أبا علي الجُبائي [ت 303 هـ] أحد رؤوس الاعتزال سنين عديدة، حتى أنه صنّف كتاباً كبيراً

(1) صفحة من حياة الإمام أبي الحسن الأشعري: 10.

(2) المصدر السابق. البداية والنهاية لابن كثير 11 / 187.

(3) رسالة إلى أهل الثغرياب الأبواب: 46-47. أبو الحسن الأشعري.

نصر فيه مذهب المعتزلة، ثم أراد الله به خيراً فاهتدى إلى أن الحق إنما هو ما عليه أهل السنة والجماعة، لاسيما وقد رأى النبي ﷺ ثلاث مرات متتالية يأمره فيها باتباع منهجه وسلوك طريقه، وما أن استبان له الحق حتى نفّض يديه من الاعتزال وقرر بشجاعة العلماء المؤمنين أن يكون رجوعه عن الاعتزال علناً فأتى المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة واعتلى كرسيّاً وأعلن بأعلى صوته رجوعه عن الاعتزال ومعتقداته، ثم ألف كتاباً نقض فيه فكر الاعتزال<sup>(1)</sup>.

### عقيدته التي يتعبد الله بها:

ونحن بقراءتنا لرسالته الموسومة بالإبانة في أصول الديانة، ورسالته إلى أهل الثغر بباب الأبواب نقف على عقيدته الواضحة الجليّة، ومستنده الموثق فيها، فهو يقول بالحرف في فصل تَرْجَمُهُ «باب في إبانة قول أهل الحقّ والسنة»: «قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها:

1 - التمسك بكتاب ربنا ﷻ،

2 - وسنة نبيّنا ﷺ،

3 - وما روي عن السادة الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به [الإمام] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نصر الله وجهه - قائلون ولمن خالف قوله مخالفون. «<sup>(2)</sup>. فهل بعد هذا البيان اللاحب من سبيل لشغب مشاغِبٍ أو اعتراض معترضٍ يدعي الانتساب لأهل السنة والجماعة؟! . وقد جليّ معتقده بتفصيل لا يدع أيّ مجال لتشكيك في سلامته، أو زرع ريب في استقامته، فبعد أن أثبت إيمانه بوحدانية الله تعالى وبرسالة نبيه محمد ﷺ والجنة والنار والساعة.. فصل القول في المراد بإيمانه بوحدانية أسمائه وصفاته فنصّ على أن لله سبحانه وجهًا بلا كيف وأن له يدين بلا كيف وأن له عينًا بلا كيف وأن من زعم أن اسم الله غيره كان ضالاً، وأن لله قوةً وسمعاً وبصراً، مخالفاً الجهميّة والمعتزلة والخوارج الذين نفوا هذه الصفات وعطلوها، ونصّ على أن كلام الله غير مخلوق، وأنه لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء من خير أو شرٍّ إلا ما شاء الله، وأنه لا خالق إلا الله وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة له مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات 96]. كما ذكر أنه يدين بحبّ السلف الذين اختارهم الله تعالى

(1) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب: 37

(2) الإبانة في أصول الديانة: 25، وانظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: 1/ 350.

لصحبة نبيه ﷺ .. ويتولا هم أجمعين، وغير ذلك ممّا آمن به سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان. إلا أنّ السؤال الملحّ بهذا الصدد هو: هل ابتدع الإمام الأشعريّ مذهباً جديداً مستقلاً؟

أجمع أهل العلم قديماً وحديثاً على أنّ الإمام أبا الحسن الأشعريّ لم يبتدع مذهباً جديداً ولا اتخذ طريقةً مستقلةً وإنّما اتّبع مذهب السلف وما كان عليه الأئمة الراشدون، فقام بتأييده والنضال عنه بالحجج النظرية - أي على طريقة علم الكلام - التي مكنته من الظهور على أهل الفلسفة، ومن هم على نهجهم من أصحاب المذاهب، فزاد مذهب أهل السنة شرحاً وبياناً بحجج غلبة، وألّف فيه كتباً كثيرة نصر فيها أقوال من مضى من الأئمة كأبي حنيفة وسفيان الثوري، والأوزاعي وغيرهم. فقد وقف عند الكتاب والسنة وترك تأويلهما ما لم يعارضهما قاطع من معقول أو محسوس، ثمّ تصدّى لكل رأي شاذّ ونحلة ضالة يُبطلها بمثل سلاحها، حتّى ظهر عليها كلّها وأصبح رأس أهل السنة والجماعة في العلم قديماً وحديثاً. يقول ابن السبكي: «عَلِمَ أنّ أبا الحسن لم يبتدع رأياً ولم يُنشئ مذهباً وإنّما هو مُقرّر لمذهب السلف مناضل عمّا كان عليه صحابة الرسول ﷺ، فلانتساب إليه إنّما هو باعتبار عقده على طريق السلف نطاقاً تمسك به وأقام الحجج والبراهين على صحّته، فصار المقتدي به في ذلك، السالك سبيله في الدلائل يُسمّى أشعريّاً، مثلما سُمّي من كان على مذهب أهل المدينة مالكيّاً، رغم أنّ مالكا إنّما جرى على سنن من كان قبله، فلمّا زاد المذهب بياناً وبسطاً عُزي إليه<sup>(1)</sup>».

### منهجه في معالجة القضايا العقديّة

الآن وقد تبين لنا أنّه لم يبتدع مذهباً ولم يخترع رأياً، وإنّما هو متمسك بمذهب السلف يحقّ لنا أن نتساءل: ما المنهج الذي سلكه الإمام الأشعريّ لإظهار الحقّ وإبطال الباطل؟

لقد كان يُشخصُ آراء أهل الزيغ والبدع، ويُحدّد معالمها، ثمّ يكرّر عليها بالهدم والنقض، فقد عقد الباب الأوّل من كتابه الإبانة في أصول الديانة ترجمه بقوله: «باب في إبانة قول أهل الزيغ والبدعة». ويُرجع الإمام الأشعريّ «زيغ» من زاغ عن الحقّ من المعتزلة وأهل القدر إلى تأويلهم القرآن على آرائهم تأويلاً ما أنزل الله به سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول ربّ العالمين ولا عن السلف المتقدّمين». ثمّ يُعدّد جملةً من ضلالتهم:

(1) - [ www.suhaibalsqqar.com ]، نقلا عن طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 365 - 367.

- 1 - كإنكارهم رؤية الله بالأبصار.
- 2 - وإنكارهم شفاعَةَ رسول الله ﷺ للمذنبين يوم القيامة.
- 3 - وجحودهم عذاب القبر.
- 4 - وتدنيهم بخلق القرآن.
- 5 - وأن العباد يخلقون أفعالهم، وزعم بعضهم وهم القدرية أن الله يخلق الخير وأن الشيطان يخلق الشر.

6 - وأن الله يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، مما أجمعت الأمة على خلافه، إذ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان 30]، وغيرها من الضلالات التي أحصى منها ست عشرة ضلالة<sup>(1)</sup>.

وقد تولّى رحمه الله إبطالها، جامعاً في استدلاله بين السمع والعقل، ذاكرة ما يقابلها من صحيح العقيدة التي يدين الله بها أهل الحق، في عدد كبير من مؤلفاته الفريدة البليغة، عظيمة الأثر في النفوس لوضوح منهجها وسلاسة أسلوبها وعذوبة لغتها، وتحريّر عبارتها، مثل: «الفصول في الردّ على الخارجين على الملة من الملحدين والفلاسفة والطبيعيين والدّهريّين، وأهل التشبيه والقائلين بقدم الدهر على اختلاف مقالاتهم وأنواع مذاهبهم»، كما ردّ في هذا الكتاب على اليهود والنصارى والمجوس.

وقد كان لإخلاصه المنافحة عن الدين واستماتته في دحض باطل أهل البدع والضلال، ولفرادة أسلوبه في إظهار الحق الأثر البالغ في تكاثر طلابه ومريديه من علماء الأمة وأئمّتها وأبناء المسلمين يأخذون عنه ويتفقّهون على طريقته في الذبّ عن السنة ونشر الحجج والأدلة في نصر الملة. فكان جمع غفير من أعيان المشاهير من طلابه وأتباعه يحذون حذوه ويقتدون بنهجه فدلّ «فضل المقتدي على فضل المقتدى به» على ملحظ ابن عساكر<sup>(2)</sup>. وهؤلاء الأعلام ينتسبون إلى مختلف بقاع الإسلام، ومنهم:

- القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاّني ت 403هـ، صاحب التصانيف الكثيرة البارعة في الردّ على المخالفين من المعتزلة والرافضة والخوارج والمرجئة

(1) مثل زعمهم أن للخير والشرّ خالقين كما زعمت المجوس، وأنّه يكون من الشرور ما لا يشاء الله.. الإبانة في أصول الديانة: 22 - 23.

(2) تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: 177. [ناصر السنة، حجة الحفاظ مؤرّخ الشام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر ت 571هـ]

والمشبهة، فأئخذ فيهم، حتى كُتب على قبره رحمه الله « لسان الملة وسيف السنة وعماد الدين وناصر الإسلام ».

- إمام أهل الحديث في زمنه وحامل لوائهم أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ت 571 هـ انتهت إليه الرياسة في الحفظ والإتقان والنبيل وحسن التصنيف والمعرفة التامة.

- الحافظ أبو ذرّ الهروي [355 - 434 هـ] الذي يقول عنه ابن حجر « أتقن روايات صحيح البخاري عندنا رواية أبي ذرّ عن مشايخه الثلاثة المستملية ت 376 هـ والسرخسي ت 381 هـ والكشمي ت 389 هـ، لضبطه، وتمييزه اختلاف سياقها <sup>(1)</sup>.

- أبو نعيم الأصفهاني ت 430 هـ - وأبو جعفر محمد بن أحمد السمناني قاضي الموصل [361 - 444 هـ] - وأبو القاسم القشيري النيسابوري [376 - 465 هـ]، وابنه أبو نصر بن أبي القاسم القشيري. - والإمام أبو المعالي الجويني [419 - 479 هـ] - وحنة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي الطوسي [505 هـ]، وغيرهم من أساطين العلم ومنارات الإيمان. فصدق قول ابن السبكي: « طريقة الشيخ الأشعري هي التي عليها المعترفون من علماء الإسلام والتميزون من المذاهب الأربعة في معرفة الحلال والحرام، والقائمون بنصرة دين سيدنا محمد ﷺ » <sup>(2)</sup>.

وإن كثرة أتباع أبي الحسن الأشعري وتعلق الأمة وعلماؤها بعلمه ونهجه لم يزد إلا تواضعاً لله وعملاً لمرصاته، فهاهو وهو على فراش الموت يدعو أحد المقرّبين إليه من طلابه <sup>(3)</sup>، ويقول له: « إشهد عليّ أنّي لا أكفرُ أحداً من أهل هذه القبلة، لأنّ الكلّ يُشيرون إلى معبودٍ واحدٍ، وهذا كلّ اختلاف عبارات ».

وهذا السمت الحسن والدّلّ الجميل والتقوى الراسخة والحمية الهادرة والقدرة الظاهرة على نصر الملة وطمس البدعة، جعله وبلا منازع، إمام الأمة وناصر دينها. كما أصبح المذهب الأشعريّ مذهب أهل السنة والجماعة، حيث تبنّاه أغلب المحدثين وارتضاه عامة علماء المسلمين، فأضحى الطعن في عقيدته طعناً في عقيدة أهل السنة والجماعة <sup>(4)</sup>.

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: 1/ 7. [دار الريان للتراث - القاهرة].

(2) [www.suhaibalsqqar.com]، نقلاً عن طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 371 - 377.

(3) هو أبو عليّ زاهر بن أحمد السرخسي.

(4) تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: 332. وانظر الأجوبة العاجلة بتوضيح مضمون الانتساب إلى الأشاعرة [د. صهيب السقار، المحاضر في قسم الدراسات



## الدعوة إلى الإسلام هي الجهاد

بقلم المفكر الهندي وحيد الدين خان (رحمه الله)

لا شك في أن الجهاد من أفضل العبادات في الإسلام، ولكن القول بأن الجهاد يعني القتال كلام خاطئ تماماً، فهو مثل القول بحذف الجهاد من الدين، والحقيقة أن جهاد الأمة الإسلامية يتمثل في الدعوة إلى الإسلام. فالقرآن الكريم يخبرنا بأن بدل أقصى الجهد لأجل شهادة الحق هو الجهاد قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، (سورة الحج، من الآية: 78).

وفي آية أخرى يأمرنا الله تعالى: ﴿فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾، (سورة الفرقان، الآية: 52). والله سبحانه وتعالى اعتبر عمل الدعوة: ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، (سورة المزمل، من الآية: 5).

إن الدعوة إلى الإسلام هي من أعظم الأعمال وأثقلها، والذي يهب نفسه لهذا العمل يصل بإذنه تعالى إلى مرحلة: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، (سورة الشعراء، الآية: 3). ومن الأخطاء الفادحة التي ارتكبتها الحركات الإسلامية الحديثة، أنها ظنت بأن الجهاد هو القتال والعيول السياسي. (لاشك في أن الدفاع



عن الوطن وصد الغزوات الخارجية من الجهاد، ولكن حاجته تزول بزوال العدوان والغزو الخارجي، أما جهاد الدعوة فهو مطلوب لنفسه، وفي كل الظروف، وحتى خلال الحرب مع الأعداء لكي يهتدوا إلى سبيل الحق). وكانت النتيجة أن تحول ميدان الجهاد، بدلاً من الدعوة، إلى النشاط السياسي، ولم يبق لإرواء عاطفة الإيمان الجياشة سوى سييلين اثنين: استخدام السيف إن سمحت الظروف، أو الخطابة.

وتقدم مصر والجزائر والهند أمثلة واحدة لهذا الاتجاه... لقد ضحى الملايين من المجاهدين في هذه المناطق في الحرب ضد (الاستعمار)، وحين انتهت هذه المواجهة، لم يجدوا سبيلاً سوى إثارة الطوفانات الكلامية من خطابة وكتابة بأن الجهاد هو القوة التي تمكّن الإسلام في الأرض. فلماذا لم يفز الإسلام بالتمكين في هذا العصر بالرغم من إثارة عاطفة الجهاد على هذا المستوى الضخم؟

والسبب يكمن في أن عاطفة الجهاد لم تجد لها المنفذ الصحيح، فانسابت في مختلف الاتجاهات وضاعت، تماماً كما يصب نهر عظيم كل مياهه في البحر، بينما تموت الحقول الواقعة حوله لعدم توفر الماء، لأن أصحاب الحقول لم يحفروا القنوات اللازمة لإيصال المياه إلى الحقول.

إن الدعوة لا تعني، البته، أن تنفخ بضع كلمات في أذن شخص ما، ولا أن تنتقد أسلوب حياته المنحرف. إن الدعوة عمل يتطلب غاية التضحية، ولا تظهر إلى الوجود إلا حين يضحي الداعي بوقته وعواطفه وماله وكل ما يملكه.

إن القرآن الكريم يأمرنا بأن يكون الداعي في غاية النصح للمدعو، وأن يكون كلامه بليغاً يفهمه المدعو، وأن يصبر عن الأذى الذي يلحقه من المدعو، وأن ينفق كل ما يملكه في سبيل الله، بدلاً من الغضب على إغراضه عن دعوة الحق، وأن يسعى لتأليف قلبه، وأن يستمر هذا العمل حتى نهاية عمر الداعي. وقد أضيفت في هذا العصر عدة أساليب جديدة إلى عمل الدعوة. ولذلك فقد اتسع عمل الدعوة اتساعاً كبيراً، وذلك فيما يتعلق بالوسائل والتدابير، والحقيقة أن أموال النفط كلها لا تكفي لجهاد الدعوة وتبليغ الرسالة. إن الأديان الأخرى، كالمسيحية، قد أدركت هذه التغيرات العصرية وقد استخدمت الوسائل استخداماً مكثفاً لنشر معتقداتها. أما المسلمون فهم متخلفون في هذا المضمار، وليس لديهم الوعي الكافي بأفاق الإمكانيات الحديثة. وصارت الدعوة أمراً عادياً لديهم لدرجة أنهم يتعجبون من أن يكون هذا العمل البسيط هو عين الجهاد.



## في رياض السنة

### الحديث الثامن عشر التقوى والتوبة وحسن الخلق

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عن أبي ذر جندب بن جنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» رواه الترمذي

روى هذا الحديث الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما ولا بأس قبل الدخول في بيان بعض معاني هذا الحديث أن نقدم للقراء الكرام نبذة ولو قصيرة عن هذين الصحابين الجليلين تعريفًا بهما ولفتًا للانتباه لتلميذين نجيبين في المدرسة المحمدية الذين هما أحد عناوينها وعلامتها المميزة.

أبو ذر رضي الله عنه هو جندب بن جنادة من غفار وهي إحدى القبائل العربية عرف رضي الله عنه بالتواضع والزهد والتوجه إلى الله بالعبادة قبل أن يدخل في الإسلام ويهديه الله إليه.

حكى له أخوه أنيس خبر بعثة رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام بدين الإسلام فسأله ما يقول الناس فيه قال يقولون انه شاعر وساحر وكاهن ولكن سمعت قول الكهان فما هو بقولهم وقد وضعت قوله على إقراء الشعراء فوالله ما يلتئم والله انه لصادق وإنهم لكاذبون، فانطلق أبو ذر بعد أن سمع من أخيه أنيس مقالته قاصدا مكة حيث سأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان سؤاله عنه

مدعاة لضربه حتى ادمي وخر مغشيا عليه فلما افاق أتى زمزم إلى ان وافته الفرصة للقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم على يديه وهو أول من حياه بتحية الإسلام وعاد أبو ذر إلى قبيلته فاسلم على يديه أخوه أنيس ثم أمه واتي قومه فاسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واسلم بقيتهم بعد قدومه عليه الصلاة والسلام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق قبيلة غفار «غفار غفر الله لها». هاجر أبو ذر إلى المدينة ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه اصدق الناس لهجة وفي رواية (ما أظلت السماء ولا أقلت الغبراء اصدق لهجة من أبي ذر). وقال في حقه علي بن أبي طالب (وعاء مليء علما ثم أوكئ عليه فلم يخرج منه شيء حتى قبض).

سئلت عنه زوجته فقالت «كان نهاره اجمع في ناحية يتفكر».

قال رضي الله عنه وهو قائم عند الكعبة «يا أيها الناس أنا جندب الغفاري هلموا إلى الأخ الناصح الشفوق فاكتنفه الناس رأيتم لو ان أحدكم أراد سفراً ليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه قالوا بلى قال فسفر طريق القيامة ابعد ما تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وماذا يصلحنا قال: حجوا حجة لعظام الأمور وصوموا يوماً شديداً حره لطول يوم النشور وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور وكلمة خير تقولونها أو كلمة سوء تسكتون عنها لوقوف يوم عظيم تصدق بمالك لعلك تنجو اجعل الدنيا مجلسين مجلسا في طلب الحلال ومجلسا في طلب الآخرة والثالث يضرك ولا ينفعك لا ترده ثم نادى بأعلى صوته «يا أيها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه أبدا».

لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك أبطأ جمل أبي ذر فتخلف عن الجيش فحمل أبو ذر متاعه على ظهره وسار حتى أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلاً بالجيش وكانوا قبل وصوله قالوا يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبأ به بغيره فقال : دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه فلما اشرف على القوم قالوا يا رسول الله إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده» جعل رضي الله عنه شعاره الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ

يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ وكان ينادي به في الأسواق في الشام. نزل رضي الله عنه عندما قرب منيته بالريذة ولما حضرته الوفاة بكت زوجته فقال لها ما يبكيك قالت ومالي لا ابكي وأنت تموت بفلاة من الأرض ولا بد أني لي بنعشك وليس معنا ثوب يسعك كفنا ولا لك فقال «لا تبكي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فلا يريان النار أبدا واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفرأنا فيهم «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر احد إلا وقد مات في قرية أو جماعة واني الذي أموت بفلاة من الأرض والله ما كذبت ولا كذبت فأبصري الطريق فقالت أني وقد ذهب الحاج وانقطعت الطريق فقال انظري فكنت أسنده إلى الكتيب فأقوم عليه ثم ارجع إليه فأمرضه قالت فبينما أنا كذلك إذا أنا برجال على رواحلهم كأنهم الرخم فألحت بثوبي فأسرعوا إلي ووضعوا السياط في نحورها يستبقون إلي فقالوا: مالك يا أمة الله فقالت إمرأ من المسلمين تكفونونه فانه يموت قالوا ومن هو قلت أبو ذر قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قالت ففدوه بآبائهم وأمهاتهم وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه فسلموا عليه فرحب بهم وقال: ابشروا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا وسمعتة يقول لنفر كنت فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر إلا وقد هلك في قرية أو جماعة وأنا الذي أموت بفلاة من الأرض والله ما كذبت ولا كذبت وانه لو كان عندي ثوب يسعني كفنا أو لا مرأتي ثوب يسعني كفنا لم أكفن إلا في ثوب هو لي أو لها واني أنشدكم الله لا يكفني منكم رجل كان أميرا أو عريفا أو وصيا أو نقيبا قالوا وليس من القوم احد إلا وقد قارف من ذلك شيئا إلا فتى من الأنصار قال: أنا أكفئك في ردائي هذا وفي ثوبين من عييتي من غزل أمني قال فكفني أنت فكفنه الأنصاري ودفنه هو والنفر الذين كانوا معه. رضي الله عن أبي ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما الراوي الثاني لهذا الحديث فهو الصحابي الجليل معاذ بن جبل اسلم معاذ وعمره ثماني عشرة سنة وشهد العقبة مع السبعين وبدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن بعد غزوة تبوك وخرج يشيعه ويوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي فلما فرغ قال «يا معاذ انك عسى إن لا تلقاني بعد عامي هذا أو لعلك تمر بمسجدي هذا وقبري فبكى معاذ». وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اعلم أمتي بالحلal والحرام معاذ بن جبل».

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تحدثوا وفيهم معاذ نظروا إليه هيبة له.

\* وكان معاذ إذا تهجد من الليل قال «اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم اللهم طلبي للجنة بطيء وهربي من النار ضعيف اللهم اجعل لي عندك عهدا نرده إلي يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد».

\* قال له النبي صلى الله عليه وسلم «يا معاذ إني لأحبك فقال وأنا احبك والله يا رسول الله قال فلا تدع أن تقول دبر كل صلاة اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

وقال «يأتي معاذ يوم القيامة بين العلماء برثوة أي برمية سهم وقيل حجر وقيل ميل وقيل مد البصر».

وروي أن ابن مسعود قال «إن معاذًا كان أمة قانتا لله حنيفا» وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير وكان مطيعا لله ورسوله» قال لابنه «يا بني إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تظن انك تعود إليها أبدا واعلم يا بني أن المؤمن من يموت بين حستين حسنة قدمها وحسنة أخرها» رضي الله عن معاذ بن جبل.

هذه نبذة يسيرة من سيرة هذين الصحابين الجليلين أبو ذر الغفاري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما وهي قليل من كثير مما كانا عليه رضي الله عنهما من تقوى وفضل وصدق وورع وما هما رضي الله عنهما إلا عينة معبرة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا نجوما في سماء الإسلام خير أصحاب لخير نبي صلى الله عليه وسلم.

أما الحديث الذي يرويانه فهو على إيجازه جاء مليئا بالمعاني والعبر والدروس والمواعظ والوصايا التي هي خير سبيل للإحراز على مرضاة الله والفوز بسكنى جنانه والنجاة من عذابه وعقابه.

قال الشبرخيتي في شرحه لهذا الحديث «إن التقوى وإن قل لفظها كلمة جامعة بأن يطاع الله فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر بقدر الإمكان ومن ثم شملت خير الدارين إذ هي تجنب كل منهي عنه وفعل كل مأمور به».

ثم أورد الشبرخيتي أقوالاً ماثورة حول التقوى تعريفاً بها نذكر بعضها تعميماً للفائدة.

\* سئل علي بن أبي طالب عن التقوى فقال «هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل».

\* وقال عمر بن عبد العزيز (التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترضه الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير).

\* وقيل «تقوى الله أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك».

\* وقال بعضهم «إذا أردت أن تعصي الله فاعصه حيث لا يراك واخرج من داره وكل غير رزقه».

\* وكتب عمر لابنه «أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله عز وجل فانه من اتقاه وقاه ومن اقرضه جازاه ومن شكره زاده فاجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك».

\* ولما ولي علي رضي الله عنه بعث رجلاً على سرية فقال «أوصيك بتقوى الله الذي لا بد لك من لقاءه ولا منتهى لك من دونه وهل تملك الدنيا والآخرة إلا بالتقوى».

\* وقال رجل ليونس بن عبيد أوصني فقال «أوصيك بتقوى الله والإحسان فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون».

وقال له رجل يريد الحج أوصني قال «اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشة عليه».

وقد وردت كلمة التقوى في القرآن بمعان متعددة :

\* الإيمان نحو قوله تعالى ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾

\* التوبة نحو قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾

\* الطاعة نحو قوله تعالى ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾

\* ترك المعصية نحو قوله تعالى ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

\* الإخلاص نحو قوله تعالى ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

\* الخشية نحو قوله تعالى ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾

وقال الشاعر :

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى \* تقلب عريانا ولو كان كاسيا

وخير ثياب المرء طاعة ربه \* ولا خير فيمن كان لله عاصيا

ولأبي الدرداء رضي الله عنه بيتان يقول فيهما

يود المرء لو يعطى مناه \* ويأبى الله إلا ما أراد

يقول المرء فائدتي ومالي \* وتقوى الله أفضل ما استفاد

\* «اتق الله حيثما كنت» في ذلك دعوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم كي يكون في كل أحواله وأوقاته وحيثما كان في تقوى وطاعة وامثال وشعور بأن الله معه ويراه ويشهد عليه فلا ملجأ منه إلا إليه. إن الإسلام يأبى على المسلم أن تكون تقواه وطاعته موسمية ظرفية وفي أمكنة معينة حتى إذا خرج منها «الأمكن المخصوصة» عاث في الأرض فسادا. فكل الأرض مسجد وكل ما يأتيه المسلم من تصرفات وأفعال وأقوال لا بد من مراقبه الله فيها وذلك بفعل ما أمر وإتيان ما أباح وترك ما نهى الله عنه وحرمه على المسلم.

إن المسلم الحق والتقويّ بحق هو من يخشى الله في كل حركاته وسكناته وفي كل تصرفاته ومعاملاته ولا خير في صلاة أو حج أو صوم أو ذكر لا يترك كل منها اثره في تصرفات وسلوك المسلم.

«اتق الله حيثما كنت» إنها وصية جامعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمكن الزيادة عليها وهي وصية إن عمل بها المسلم كفيلة بتحقيق التطابق بين الظاهر والباطن وهي تنفي كل ازدواجية ونفاق. فذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها.

ولقد عمل سلف الأمة الصالح بمقتضى هذه النصيحة فكانت حالهم ابلغ دعوة للإسلام وأجمل تجسيم لحقائقه وكان التطابق بين اقوالهم وشعاراتهم وافعالهم

دافعا لغيرهم كي يدخلوا في دين الله أفواجا اعترافا بعظمة الإسلام وهدي سيد الأنام عليه الصلاة والسلام الذي كان خلقه القرآن لقد كان قرآنا يمشي على الأرض .

**الوصية الثانية :** في هذا الحديث الجامع «واتبع السيئة الحسنة تمحها» وهي بشرى للمؤمنين بما أعد الله لهم من واسع رحمته بغفرانه لسيئاتهم ومحوه لذنوبهم كما انها أيضا دعوة للمسلم كي يكون دائم اليقظة . فمن رحمة الله بعباده ومن كرمه وجوده أن جعل الحسنات تذهب السيئات وتمحوها فالتوبة تمحو ما سبقها من الذنوب شريطة أن تكون توبة نصوحا . والمؤمن الحق لا يغفل وهو إن مسه طائف من الشيطان تذكر فتاب واناب ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾.

يقول الله تبارك وتعالى مبشرا عباده المؤمنين ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ . ويقول جل من قائل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ويقول ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ . والآيات عديدة والأحاديث كثيرة والآثار لا حصر لها ولا عد التي تروي كرم الله وجوده وإحسانه وعفوه عن عباده الخطائين التوابين المنيبين يقول الله تعالى في الحديث القدسي «لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوبا للقيته بقرابها مغفرة» .

**الوصية الثالثة :** «وخالف الناس بخُلُقٍ حَسَنٍ» والقُدوة والأسوة في الخلق الحسن هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال في حقه رب العزة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام في حق نفسه «أدبني ربي فأحسن تأديبي» وتقول عنه السيدة عائشة لما سئلت عن خلقه عليه الصلاة والسلام، قالت : «كان خلقه القرآن»، وقد قال عليه الصلاة والسلام «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» واخبر عن اقرب الناس منه يوم القيامة منزلة ومقعدا فقال : «هم أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون» .

والخلق الحسن، أي حسن المعاملة والمعاشرة والرفق واللين والأدب والحياء كلها أخلاق دعا الله إليها عباده المؤمنين حيث قال جل من قائل ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ وقال ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا



يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» وقال صلى الله عليه وسلم «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وإن العبد ليلبغ بحسن خلقه درجة القائم الصائم» وعن انس رضي الله عنه قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صافح رجلا لم ينزع يده من يده حتى تكون يد الرجل هو الذي ينزع ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرف ولم ير مقدما ركبتيه بين جليسين قط».

يقول عليه الصلاة والسلام «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب الخلق ليلبغ درجة صاحب الصلاة والصوم» ولما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال : تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : الفم والفرج» وقال «خصلتان لا يكونان في مؤمن سوء الخلق والبخل».

«خالق الناس بخلق حسن» دعوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حسن المعاشرة والمعاملة فذلك هو ما يرضي الله وذلك هو ما يثقل الميزان ويكون سببا في إحراز رضوان الله وغفرانه وعفوه نسال الله ان يحسن أخلاقنا ويصلح أعمالنا انه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

### صدر أخيرا

.كتاب مختارات من اثار سماحة الشيخ كمال الدين جعيط رحمه الله مفتي الجمهورية التونسية سابقا تقديم فضيلة الشيخ عثمان بطيخ (مفتي الجمهورية) جمع وتحقيق الأستاذ محمد العزيز الساحلي طبع دار سحنون للنشر والتوزيع تونس. يقع هذا الكتاب في 811 صفحة واشتمل على تقديم وتمهيد وتضمن في المحور الأول فتاوى شرعية في اقسام العبادات والمعاملات والاسرة والاحوال الشخصية والاداب والسلوك ( فيما يزيد على 300 صفحة)

اما المحور الثاني فتضمن ففي رحاب السنة ( شرح احاديث نبوية) والمحور خصص لبحوث ومتفرقات وذيل الكتاب بمداخلات ثلة من الأساتذة في موكب اربعينية الفقيد التي عقدت بالمكتبة والوطنية. والكتاب يندرج ضمن سلسلة من الإصدارات جمع فيها الأستاذ محمد العزيز الساحلي مشكورا اثار بعض شيوخ الزيتونة توثيقا لها وتعميما وتيسيرا للاستفادة منها واصدرتها دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس.



## حماية الأرض أمانة وضعها الله بين يدي الإنسان<sup>(\*)</sup>

بقلم أ.د. أحمد الطيّب شيخ الأزهر

إنَّ الأزمة الجديدة التي تضرب عالمنا اليوم هي أزمة البيئة والمناخ، وإن أخطارها من ارتفاع درجات الحرارة، واندلاع الحرائق في الغابات، وسقوط الثلوج في البحار والمحيطات، وانقراض كثير من أنواع الحيوان والنبات، كل ذلك بدأت تظهر بوادره واضحة للعيان، وبصورة مزعجة حملت المسؤولين في الشرق والغرب على إطلاق صيحات الخطر، وعقد المؤتمرات العالمية من أجل التصدي لأسباب هذه الكارثة، والعمل الجاد على منعها وتجريم مرتكبيها.

إن الذي يهمني تسجيله في هذا المقام هو أولاً: ما نقرأه عن إجماع الفلاسفة أو شبه إجماعهم على أن المسئول عن هذه الكوارث هو «الإنسان»، وعُنفه في التعامل اللاأخلاقي مع الطبيعة وكائناتها الإنسانية وغير الإنسانية، وتسخيرها لمصلحته ومنفعته الخاصة سواء كان هذا الإنسان أفراداً أو شركات أو دولاً ذات بأس لا تنظر إلا لما تحت قدميها.

ثانياً التأكيد على أن موقف الفكر الإسلامي من هذه الأزمة، هو موقف يتأسس على ضوء نصوص قرآنية شديدة الوضوح في تقرير وجوب احترام البيئة وجوباً شرعياً، انطلاقاً من أنَّ عوالم الوجود الكوني الأربعة، وهي: عالم الإنسان والحيوان

(\*) كلمة الافتتاح لمؤتمر جامعة الأزهر (تغير المناخ والتحديات والمواجهة) القاهرة 19 / 12 / 2021

والنبات والجماد، ليست، كما تبدو في ظاهرها، عوالم ميتة، بل هي عوالم حيّة تعبد الله وتُسَبِّحه بلغاتٍ مختلفة لا يسمعها الإنسان ولا يفهمها لو قُدِّرَ له سماعها.

وان قصّة بدء الخلق في القرآن الكريم تقرّر أنّ الإنسان حين أهبّطه الله إلى الأرض، فإنما أهبّطه بوصفه خليفةً عنه تعالى، أي: مسؤولاً عمّا استخلفه الله فيه ومُكَلَّفًا بحماية الأرض من الإفساد فيها؛ إذ هي أمانةٌ وضعها الله بين يديه بعدما هيأها وأصلحها له وسخرها لمصلحته ونهاه نهياً صريحاً عن الإفساد فيها فقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85].

وان القرآن الكريم لفت أنظارنا، ومنذ خمسة عشر قرناً من الزمان، إلى أنّ بعض النّاس سيفسدون في البر والبحر وأن الله سيذيقهم من جنس إفسادهم لعلمهم ينتهون عن إفسادهم: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41]. وفي هذه الآية ما فيها من إعجازٍ وصف الواقع الذي يعيشه النّاس اليوم وتصويره تصويراً دقيقاً.

وانّ فتنة الفساد في الأرض إذا وقعت فإن كوارثها لا تقتصر على المتسببين وحدهم، وإنّما تكثرهم وتكرث معهم من سكت على جرائمهم: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25]..

إن مؤتمر الأزهر الشريف حول المناخ، يذكّرنا بأوّل مؤتمرٍ عالميٍّ للأديان عُقد في لندن عام 1936م، وأسهم فيه شيخ الأزهر أيامها: «الشيخ محمد مصطفى المراغي» بكلمةٍ بعثَ بها إلى المؤتمر بعنوان: «الإخاء الإنساني والزمالة العالمية»، أعلن فيها -في غير تردّد- ألاّ مخرج للعالم مما هو فيه إلّا بالتدبُّن والاعتصام بالدين، وفنّد فيها ما يُقال من أنّ الدين هو سببُ السقوط الحضاري، وأنّ الإلحاد، والاتجاهات الفلسفية المادية هي علّةُ هذا السقوط وسبب التخلّف الحضاري والإنساني.. وأنّه لا دواء لهذا الداء العُضال إلّا في «التدبُّن والشعور الديني»، وإنّ هذا الشعور الديني هو أقوى وأشدُّ تأثيراً في قيادة الإنسانية نحو مرفأ السّلام والعدل والمساواة، من كل نوازع الإلحاد الدّافعة إلى فساد المجتمع الإنساني.

ولم يتوقّف الشيخ المراغي عند تقرير هذا الأمر فحسب، بل تكفّل بدحض الاعتراض الذي يُردّده الملحدون وأمثالهم من المستهزئين بالأديان في تساؤلهم

الشهير: كيف تدعون إلى العودة إلى الأديان وهذا هو التاريخ شاهدٌ على أن الدين طالما كان باعثاً على حروبٍ أهلك الحِث والنسل؟!

وهذا الواقع المحزن صحيحٌ فيما يقول الشيخ المراغي، لكنّه لا يستلزم أبداً أن يكون الدين هو صانع هذه الذكريات المريرة المروّعة؛ «ذلك أنه ليس في طبيعة أيّ دينٍ إلهيّ ما يؤدي إلى آيةٍ مأساةٍ من هذه المآسي التي تُحسب عليه» بل السبب الحقيقي وراء هذه المآسي هو: استغلالُ الشعور الديني لدى الجماهير المتديّنة، وتوظيفه لتحقيق أغراضٍ خبيثة مآكرة، يرفضها الدين نفسه، ويُنكرها أشدّ الإنكار.

والتقدم المادي الذي تميز به القرن الماضي، وعد من أعظم مكاسب البشرية على الإطلاق، وفضل به هذا القرن على سائر القرون، لم يواكبه -للأسف- تقدم موازٍ في المجال الخلقي الإنساني، وهو الجانب المعول عليه في تصحيح مسار الإنسانية وتقويم سلوكها حين يلتبس عليها الخير بالشر في الفكر، ويختلط الحسن بالقبح في الفعل.

وإزاء هذه المفارقة المعكوسة في ضبط العلاقة بين التقدم المادي والتقهر الخلقي في حضارة الإنسان المعاصر، توقع الفلاسفة والمفكرون خطراً ماحقاً سيحل بالإنسانية كلها، وقد يعود بها إلى عصور ما قبل التاريخ.. وقد نبّه كثيرٌ منهم إلى أن هذا الخطر بدأت تبدو نُذره على استحياء مع حلول القرن التاسع عشر، وهو القرن المعروف بقرن مذهب النشوء والتطور، والانفجار المعرفي في المذاهب العلمية، والمدارس الفلسفية على مختلف مشاربها، بل قرن الثورة على المظالم الاجتماعية وعوامل التخلف البشري، لكنه -مع كل ذلك- كان قرن التوسع في استعمار الشعوب، والتسلط على مقدراتها وسرقة ثرواتها، وتدمير قيمها وثوابتها، بل كان القرن الذي سخر فيه «العلم» بموضوعيته وحياديته لخدمة مطامع الاستعمار ونزاعاته السياسية، يدلنا على ذلك الدعوات العلمية الزائفة التي كانت تروج في ذلكم القرن لامتياز أجناس الشمال وتفوقها العقلي والحضاري على سائر الأجناس البشرية، وأن الجنس الآري هو صاحب الفضل الأوحد «في كل فتح من فتوح العلم والثقافة والحضارة» قديماً وحديثاً، وأن أمريكا نفسها -فيما يقول عملاق الأدب العربي الحديث: العقاد:- «لم تخل من نصيبها من هؤلاء الدعاة، وكيف لا! وقد كانت ميدان نزاع بين الأجناس البيضاء والحمراء والسوداء، بل ميدان مفاخرة بين

المهاجرين الآباء أنفسهم، ممن ينتمون في أنسابهم إلى أصول متباينة مثل: السكسون واللاتين وأمم الشمال والجنوب».

ومع القرن العشرين توقع الناس أن يكون ما حدث وسيحدث من تقدم علمي وفلسفي وثقافي قادرا على تربية الإنسان وتهذيب أخلاقه وترقية مشاعره، وكفيلة بكفكفة نوازعه في الغلبة والتسلط والاستقواء على الآخر، غير أن خيبة الأمل كانت أقسى وأمر من سابقتها.. فلم يكد ينتصف هذا القرن حتى سجل تاريخه الدموي، وقوع حربين عالميتين، ذهب ضحيتهما ما يقرب من ثمانين مليوناً من القتلى من خيرة الرجال والنساء والشباب، دون مبرر منطقي، ولا سبب معقول، اللهم إلا انحراف الفكر وموت الضمير، وغطرسة الأنانية، ونزعات العرق والتفوق العنصري في أوروبا؛ وزاد الطين بلة، ظهور الردع النووي، ليمثل رعباً جديداً، وليمكن قلة من الأغنياء بأن يستأثروا بثروات الأكثرية الساحقة من الفقراء. ثم أطل القرن الواحد والعشرون بسياسة استعمارية جديدة، شديدة العنف والقسوة، ما أظن أن أحداً يجادل في أننا، نحن العرب والمسلمين، نعيش تبعاتها -اليوم- واقعا حزينا ممزوجاً بالدم والتراب والدموع والخراب.

واقتمع كثيرون من حكماء الغرب والشرق المعاصرين، وفرغوا من إثباته كحقيقة لا تقبل الجدل، هي: أن التقدم العلمي -ولسوء الحظ- لم يواكبه تقدم مُوازٍ في الأخلاق، وأن التطور التقني وبخاصة في مجال صناعة الأسلحة الفتاكة، جاء خالي الوفاض من كل القيم القادرة على ضبطه في الاتجاه الإنساني الصحيح، بل لوحظ أن الحروب يزداد سعيها كلما ترقى العلم.

### صدر أخيراً

#### كتاب منهج شيوخ الزيتونة في اعداد الخطبة الجمعية

تأليف ا.د علي العلوي نشر دار الاهرام للطباعة والنشر، يقع الكتاب في 124 صفحة إضافة الى فهرس

وتضمن مقدمة وفصلا تمهيديا وأربعة فصول (استدلال شيوخ الزيتونة بالقران الكريم في خطبة الجمعة واستدلالهم بالسنة وعنايتهم باللغة العربية واسرار التشريع وحكمه وعناية شيوخ الزيتونة في خطبهم بالواقع المعيش والمستجدات وبكل ما يحدث في مجتمعهم وفي زمنهم والخاتمة)



## أصول المدد الروحي والامتداد الصوفي المغربي في العمق الإفريقي انطلاقاً من بيت النبوة (\*)

بقلم السيد سلامة ابن أحمد العلوي (المغرب)

السيد ممثل سيادة الحاجب الملكي، السيد وزير الشباب والثقافة والتواصل السيد الكاتب العام لقطاع الثقافة، السيد المدير العام لمنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة الإيسيسكو، السيد والي صاحب الجلالة لجهة مراكش آسفي، السيد رئيس جامعة القاضي عياض السيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، السيد المدير الجهوي لوزارة الثقافة جهة مراكش آسفي، السيد مدير الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين جهة مراكش آسفي، السادة الشيوخ العلماء الأفاضل ممثلي الدول الشقيقة للمملكة المغربية الشريفة، السيدات والسادة الأساتذة الأفاضل، أعزائي الطلبة أيها الحضور الكريم. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

يسرني باسم مؤسسة مولاي علي الشريف دفين مراكش أن أرحب بكم جميعاً في الملتقى الروحي الدولي الأول لمولاي علي الشريف كما يطيب لي بهذه المناسبة، أن أرحب على الخصوص بضيوفنا الكرام الشيوخ العلماء المشاركين في هذا الملتقى المبارك من مختلف الدول الشقيقة الإفريقية والولايات المتحدة الأمريكية في بلدهم الثاني المملكة المغربية الشريفة، ونتمنى لهم مقاماً طيباً مباركاً بيننا .

وإننا جميعاً في هذا اليوم الأغر المبارك لنحمد لله تعالى على منحه وعونه وتوفيقه للقيام بهذه المبادرة الكريمة المباركة، إذ نعتز أياً اعتزازاً بانعقاد هذا الملتقى الروحي

(\*) كلمة الافتتاح للملتقى الروحي الدولي الأول لمولاي علي الشريف، مراكش المغرب (30/31 أكتوبر 2021).

الدولي المبارك بمدينة مراكش العريقة، تربة الشرف والولاية والصلاح، والذي يعد فرصة ثمينة وانطلاقة منهجية مباركة تقوم على أساس المعرفة الوجدانية والأمانة العلمية نأسس من خلالها لمشروع وطني ودولي ينطلق من الأصول الحقة الثابتة لهويتنا الروحية والدينية بالمملكة المغربية الشريفة والتي تستمد مصدرها من المدد الروحي من منبعه الصافي الذي هو بيت مولانا رسول الله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آل بيته الطاهرين المباركين رضوان الله عليهم أجمعين، الذين هم مصدر العمارة العلوية القدسية، ومعدن التربية الربانية، وشجرة الأصل النورانية، الوارثون لمعاني السر المحمدي ومقاماته=الربانية، حيث يقول صاحب القصيدة الشهيرة - وكلهم من رسول الله ملتمس، غرfa من البحر أو رشفًا من الدير - ، ذلك أن الصالحاء والأولياء الصادقين المخلصين من الأمة يستمدون بدورهم مددهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن آل بيته الأطهار، فهو صاحب الريادة الوحيد والقائم عليها صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين أجمعين.

إن بلاد المغرب وعلى الخصوص مراكش مدينة الأولياء والصالحين، حازت قصب السبق والريادة بوجود هذه العترة الطاهرة، التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون بها مثوى أحد رجالها العظماء وهو قطب الولاية والصلاح وسبط النبي الأمين العارف المجاهد جد سلاطين دولتنا العلوية الشريفة مولانا علي الشريف أكرم الله مثواه، إلى جانب باقي أوليائها الصالحين الأكرمين رضوان الله عليهم أجمعين .

### أيها الحضور الكريم

لقد انكبت الهيئة العلمية لمؤسسة مولاي علي الشريف بمعية شركائها من مختلف الكفاءات والأطر العليا في ميدان التراث الروحي والبحث العلمي والثقافي على دراسة موضوع هذا الملتقى المبارك دراسة علمية رصينة ومعقدة، تنطلق من مدى استحضار قيم الهوية المغربية الأصيلة خصوصاً في بعدها الروحي والديني بالرجوع إلى الأسانيد الراسخة المتأصلة في المملكة المغربية الشريفة باعتبارها منبعاً زاهراً للعطاء المتميز، والريادة النموذجية، ومدرسة أنجبت بسخاء وأعطت بلا حدود وخرجت أئمة ومشايخ يهدون بأمر الله إلى الذكر والمحبة والقيم التي عليها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى توالى الأجيال على درب التربية الروحية التي سنّها عليه افضل الصلوات وأزكى التسليم. ولقد استقر نظر الهيئة العلمية للملتقى على موضوع:

أصول المدد الروحي والامتداد الصوفي المغربي في العمق الإفريقي انطلاقا من بيت النبوة.

### « رعاية الدولة العلوية الشريفة للزوايا والطرق الصوفية »

إن الحديث عن المدد الروحي هو حديث عن مفهوم عميق المعنى يحيلنا على كل ما له علاقة بالروح باعتبارها من أمر الله الخالق المبدع جل في علاه، فهي تتأبى وتعلو على مناهج البحث العلمي وتتعالى عن أساليب الاستقراء فهي بذلك تقتعد مكانا سامقا تنخلع الأعناق دون الوصول إليه فالروح تجسد تلك اللطيفة النورانية المدركة التي تمنح الإنسان القدرة على التمييز بين الخبيث والطيب وتجعله فوق كل المحسوسات وتقيه من الأمراض النفسية التي قد تعتريه ، لتعطيه كذلك المقياس الصائب والميزان الحساس الذي يحتكم إليه عندما تدلهم عنده الأمور ، فهي بهذا المفهوم الوثيق المشرق تلتقي في درجة أخرى وفي مسيرة واحدة مع العقل الإنساني في حبكة، تتمازج وتتعانق بينهما الغايات لتصب في معين واحد هو الطهر والصفاء والبر والمحبة والنقاء ، وذلك هو المفهوم الديني الرشيد والمنطلق القرآني العجيب الذي يصدر عنه العقل وتقتبس منه الروح في سبحاتهما الجواله في ملك الله الرحيب. ولاشك أن الروح بتلك النظرة الزاكية عنصر عظيم وجليل ومشرق مستنير شفاف لأنه متدل من الديمومة الإلهية الماجدة. ولاشك أنه كذلك عالم فوق المادة وفوق هذه النواميس الأرضية عالم كله نور وصفاء. وعلى الرغم من كونها غير مرئية لنا بوسائلنا المحسوسة إلا أنها كائنة بآثارها الجارية المتجددة.

#### أيها الحضور الكريم.

إن هذا الملتقى المبارك ، يحمل خصوصية فكرية وعلمية روحية وثقافية نبيلة تعتبر ثابتا أصليا ومكونا أساسيا للهوية الروحية والدينية والأخلاقية للمغاربة في نطاق السنّة المطهرة، والشريعة الإسلامية السمحة، كما يأصل ويرسخ كذلك لصيانة القيم الروحية السامية والفضائل الربانية والمثل العليا التي التزم بها ودرج عليها حفدة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم. أسلاف سيدنا نصره الله السلاطين والملوك العلويين الأشراف قدس الله سرهم أجمعين، أخذين بمنهج الاعتدال والتسامح الذي يميز سلوك المغاربة ملوكا وشعبا مند أمد بعيد. كلها قيم مشتركة للمغاربة لا تقتصر عليهم فقط بل تضرب في عمق علاقه المغرب الروحية والدينية والهوياتية مع إفريقيا منذ قرون. وتظل فضاءا طبيعيا رغم تنوع شركائه لما نسجه المغرب من امتداد للمذهب السني المالكي في إفريقيا.

إن الهوية الروحية وتقويتها في علاقتها بروابط الأمة المغربية والملوك الشرفاء العلويين ليست هدفا في حد ذاته، بل انشغال مستمر بقضايا التنمية والرفاهية في



إطار الثوابت التي تحدد المنطلقات الرصينة لبناء المغرب على جميع المستويات. ان الهوية محدد للانتماء وللقيم وممر لا بديل عنه لفهم الواقع الذي نعيشه . لذا فمؤسسة مولاي علي الشريف المراكشي ، وعيا منها بأهمية الأمن الروحي للمغاربة جميعا ، ستظل تعمل على معانقة الحاضر بتركيبته النوعية لحمل مشروع مجتمعي واع بهويته يؤسس للتنمية في كل أبعادها لإرساء قواعد البناء والدفاع عن الهوية المغربية.

### ايها الحضور الكريم

من المعلوم أن أرض المملكة المغربية الشريفة، لما لها من دور أساس وإسهام راسخ ، على امتداد التاريخ في صيانة صرح التراث الروحي للإسلام، والحرص على خصوصيات المغرب الثقافية، قائمة بسند الإمامة العظمى، التي تجسدها إمارة المؤمنين، القائمة على رعاية شؤون الدين وحفظ مقومات الأمة ورعاية أهل الله والعارفين المخلصين في التوجه المتخلصين من الأهواء والأغراض، الصادقين في التعلق بالسنة المحمدية الحققة في إطار الثوابت الشرعية والتشبث بالقيم الدينية والوطنية الراسخة. تحت القيادة الرشيدة للسدة العالية بالله أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك سيدي محمد السادس نصره الله وأيده .

إن الانفتاح والتطور الذي تعرفه العلاقات المغربية الإفريقية، والذي يحظى بال العناية السامية لأمير المؤمنين نصره الله ، وما تلعبه من دور فعال في تلاحم الشعوب وتبادل الخبرات والتعاون المثمر، فيما بينها وكذا تأثيرها الإيجابي على مستوى كافة المجالات، لا سيما منها الروحية ، وقوفا عند هذا الدور الروحي الوجداني المحوري، والذي قدم نموذجا فريدا ومتميزا، تم توظيفه لما يخدم رسالة الإنسان المتمثلة خصوصا في تزكية النفس وتطهيرها، والسمو بها إلى كمالات الأخلاق. فالمغرب له تجربته ورصيده الروحي والديني المشهود له بالريادة اقليميا وعالميا خصوصا فيما يتعلق بمحاربة التطرف والغلو والانغلاق، وهو بلد متمسك بهويته الإفريقية كعنصر جوهري من عناصر هويته الغنية بتعدد روافدها وبلد تعيش الأديان السماوية ، كلها عوامل وقيم تعطي دفعة قوية لسياسة إفريقية تنموية ومتجددة طبعها العمل الدؤوب لسيدنا ، نصره الله وأيده، وهو يواصل، الجهد من أجل وضع المغرب على سكة القرن الواحد والعشرين، مع ما يتطلب ذلك من عصرنه وتحديث، عنوان ذلك تلك الزيارات العديدة التي قام بها جلالته حفظه الله وأعز أمره، الى العديد من البلدان الافريقية الشقيقة، تعززت بإقامة شراكات استراتيجية همت عدة ميادين مع

المغرب في ظرف وجيز، رسخت لمشروع مغربي اختار التعاون الاقتصادي جنوب جنوب مع عمقه الإفريقي مما ولد الثقة لدى العديد من الدول الكبرى في العالم، التي جددت رؤيتها في المملكة المغربية الشريفة كرافعة أساسية وواجهة خصبة لشتى أشكال الاستثمار وتعتبرها بوابة القارة الإفريقية وسوقا واعدة لمستقبلها.

أن الامتداد الديني والروحي للمغرب في القارة الإفريقية والذي قدم نموذجا دينيا قوامه الوسطية والاعتدال والتسامح يعتبر في الحاضر كما في الماضي محط اشادة إقليمية ودولية بما راكمه خلال تاريخه المجيد في سبيل تعزيز الأمن الروحي لسكان القارة الإفريقية والعالم .

فمن هذا المنطلق تعمل مؤسسة مولاي علي الشريف المراكشي كأداة ديبلوماسية روحية موازية تعمل علي تعميق تلكم الروابط التقليدية الطبيعية من اجل تقوية علاقات الشعوب ببعضها البعض لانهم يشكلون حضارات وافراد فوق ارض واحد يتقاسمون فيها الطبيعة والهوية والدين.

### ايها الحضور الكريم

سيرا على توجيهات سيدنا أعزه الله الذي ما فتى ينادي من خلالها في خطبه ورسائله الملكية السامية إلى التشبث بالثوابت الدينية الشرعية، من قيم إسلامية معتدلة وسطية سمحة، ونموذج تنموي مندمج وخيار ديمقراطي بالإضافة إلى دعواته المولوية الشريفة للنهوض بالتنمية الشمولية وتكريس المقاربة التشاركية، والواقعية. ستظل مؤسسة مولاي علي الشريف بمعية شركائها وفيه للإسهام في صيانة الهوية المغربية الحققة والوفاء لثوابت الأمة والحفاظ على الموروث الحضاري الذي تتميز به الشخصية المغربية عبر التاريخ، في انسجام تام مع حتمية التطور الحضاري الذي تعرفه الإنسانية اليوم. وعلى هذا النهج القويم دأبت مؤسسة مولاي علي الشريف دفين مراكش على التمسك والعمل بقيم ومناهج التربية الروحية، والدينية وطينا ودوليا واستمراريتها، والتي تندرج ضمن التوجهات والأهداف المعتمدة من قبلها كما هو الشأن من قبل شركائها، باعتبارها قيم روحية وحضارية تاريخية تشكل امتدادا بين مختلف القارات والبلدان.

إن مؤسسة مولاي علي الشريف دفين مراكش تتبنى مقاربة علمية وعملية أصيلة، مفتوحة ومتجددة لدراسة واستقراء تاريخ المغرب وخصوصيته وهويته الروحية الضاربة في وجدان وعقول المغاربة ملوكا وشعبا. ذلك ان هذا الشعور الجماعي الذي يجب أولا تقويته وحشده بالمعرفة العالمية من اجل امن روحي قويم تستشعره

المؤسسة مع شركائها من اجل الحفاظ على ذلكم الامتداد الطبيعي للهوية الروحية للمغرب من البيت الاول للحبيب المصطفى الى اولي الامر منهم الى مختلف شرائح المجتمع دون إنكار الفضل على أهله فالمغاربة هم جميعا ابناء للوطن من واجبهم، في عالم متغير ينأى يوما بعد يوم عن القيم الإنسانية وينخرط في مغالطات إيديولوجية خطيره، أن يجتهدوا في تقوية رصيدهم الروحي وتحصينه من المغالاة والحرص على عدم الوقوع في التشرذم الروحي ، مستلهمين الحكمة من منابعها الصافية المؤصلة والمجددة للتربية الروحية لبيت النبوة المبارك الشريف.

### أيها الحضور الكريم

ان مؤسسة مولاي علي الشريف المراكشي ايمانا منها بقيمة وفضل العمل المشترك لا يسعها الا تثمن المساهمة القيمة لشركائها وتتقدم لهم بالشكر الجزيل على جديتهم وتعاونهم على ما فيه خير البلاد والعباد، ونخص بالذكر وزارة الشباب والثقافة والتواصل وولاية جهة مراكش آسفي وجامعة القاضي عياض بمراكش، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية ،والمديرية الجهوية لوزارة الثقافة والأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين، كما نشكر كافة اطهرهم ومسؤوليهم، على إسهامهم الناجع والفعال، وكل من ساهم من قريب أو بعيد منوهين بحسهم الوطني وتفاعلهم التلقائي المفعم بالغيرة على الوطن والتعلق الدائم بأهداب عرشه العلوي المجيد .

انهم مؤسسة مولاي علي الشريف المراكشي هو الإسهام في إرساء وترسيخ هذا النهج الديني الوسطي القويم ذي البعد الروحي المؤسساتاتي اقليميا وجيوستراتيجيا والذي يهدف إلى تعزيز مواطن الدفاء والسلام والأمن الروحي للمغاربة في صلتهم الوثيقة بالدول الإفريقية. لتبين ونستلهم جميعا أن الغاية الكبرى تختزل في ذلكم البعد الانساني والاجتماعي الذي يجمع المغاربة بملوكهم العلويين الشرفاء وبتشبثهم بهذه الثوابت الروحية التي تقاسموها عبر الحقب التاريخية مع الدول الإفريقية الشقيقة، فلا غرابة أن العلاقات الاقتصادية والسياسية المغربية الافريقية تتقدم بوثيرة تحجم أعداء الوحدة الترابية على مجرد التفكير في منافستها. فالمشاريع الاقتصادية تناسل بشكل كبير والأفق يدعو الى الأمل والتفاؤل لمستقبل مغرب قوي بملكه وبشعبه وبتاريخه المجيد. وفقنا الله وإياكم لما فيه خير أوطاننا وشعوبنا و السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



## إبن عباد الرندي حياته وتقديم لمؤلفاته

بقلم الدكتور عبد الهادي كنيث هنركمب (أمريكا)

### مقدمة

أقدم للقارئ اليوم خطبة من خطب أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد الرندي ثم الفاسي (ت. 792هـ / 1390م)؛ وهي واحدة من مجموعة الخطب المعروفة بعنوان خطب المواسم لابن عباد التي ألقاها ابن عباد - قدس الله ثراه - حينما كان إماماً وخطيباً بمسجد القرويين بمدينة فاس - حفظها الله من كل بأس - في العهد المريني بين 787هـ / 1375م و 792هـ / 1390م ويتضمن هذه الخطبة في مولد سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم مجموعة من خطب في فضائل يوم عاشوراء، وشهر رجب الفرد، وشهر شعبان، وشهر رمضان، وليلة القدر وتفسير سورتها؛ وأخيراً خطبته في وداع شهر رمضان؛ وقد صارت هذه الخطب مرجعاً هاماً عند عامة خطباء الجوامع المغربية بعد وفاته.

لا نشك في نسبة هذه الخطبة وما يليها من خطب المواسم إلى ابن عباد، فقد ورد ذكرها في المصادر القديمة: فذكرها الشيخ أحمد زروق الفاسي في شرحه الحادي عشر على حكم ابن عطاء الله الاسكندري ووصفها بقوله: «الخطب المعلوم في المواسم؛ والقصد بها تنبيه من الغفلة وإفادة العوام، أتباعاً لأبي طالب<sup>(1)</sup> وأبي حامد

(1) أبو طالب المكي (386 / 996) صاحب قوت القلوب.

- رحمهما الله - وإلا ففي الرسائل ما يدل على نقيض ذلك»<sup>(1)</sup> وقد ذكر الشيخ الإمام أحمد بن محمد المقرئ التلمساني في نفع الطيب عن هذه الخطب وعن أهميتها ما نصّه: «للشيخ ابن عباد خطب مدونة بالمغرب مشهورة بأيدي الناس، ويقرؤون منها ما يتعلّق بالمولد النبوي الشريف بين يدي السلطان تبرّكاً بها؛ وكذا يقرؤونها في المواسم. وقد حضرتُ بمراكش المحروسة سنة عشر وألف قراءة كراسة الشيخ في المولد النبوي - على صاحبه أفضل الصلاة والسلام - بين يدي مولانا السلطان المرحوم أحمد المنصور بالله الشريف الحسني - رحمه الله تعالى - وقد احتفل لذلك المولد بأمور يُستغربُ وقُوعُها - جزاه الله تعالى عن نيته خيراً - وقد أشرت إلى ذلك في كتابي المرسوم: روضة الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس»<sup>(2)</sup>؛ وسردت جملة من القصائد الموشحات في وصف ذلك الصنيع ورحمة الله وراء الجميع»<sup>(3)</sup>.

اعتمدت في تحقيق خطب المواسم على النسخ المخطوطة الأربع التالية:

**النسخة الأولى:** محفوظة في الخزانة الملكية برباط الفتح، مسجلة تحت رقم 2688. وقد رمزت إليها بالحرف «م». وهي نسخة تامة مُصحّحة وقد بدأت تنال منها الخُروم، وهي مرمّمة ترميماً يدوياً جزئياً مكتوبة بالخطّ المغربي مُجَوَّهَر جميل مع استعمال اللون الأحمر لرؤوس الفقرات، على يد أحمد بن أحمد بن العربي بن عبد أزرين الأندلسي، وكان الفراغ من نسخها في العشر الأوائل من شهر شعبان عام 1110 هـ (1698 م).

عدد أوراقها: 22 ورقة.

مقياسها (طولا وعرضا): 30.5 x 22.5 سم.

مسطرتها (= عدد سطور كل ورقة): 38 سطرا.

(1) أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتّاني، سلوة الأنفس ومحاذئة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتّاني، حمزة بن محمد الطيّب الكتّاني، محمد حمزة بن علي الكتّاني، دار الثقافة: الدار البيضاء، 2004، ج. 2، ص. 152.

(2) نقص هذا المصدر من أوله، ولكن ما تبقى من ص 5 إلى 14 يدل على ما يشير المؤلف إليه. انظر: أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، روضة الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط: المكتبة الملكية، 1983/1403.

(3) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر: بيروت، ج. 5، ص 349-350.

التعقيية: مائلة.

النسخة الثانية: محفوظة في الخزانة الملكية أيضا، مسجلة تحت رقم 12945. وقد رمزت إليها بالحرف «ب». وهي نسخة تامة ومُصَحَّحة مكتوبة بالخط المغربي لا بأس به، مع استعمال اللون الأحمر لرؤوس الفقرات، دون ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

تقع ضمن مجموع، من الورقة 250 أ إلى 264 ب.

مقياسها: 18 x 28 سم.

مسطرتها: 30 سطرا.

التعقيية مائلة، وتتكوّن أحيانا من أكثر من كلمة.

النسخة الثالثة: وهي نسخة مصورة، وقد أمدّني بها صديقي الأستاذ مصطفى الناجي - رحمه الله. وقد رمزت إليها بالحرف «ن». وهي نسخة تامة مكتوبة بالخط المغربي واضح حسن يميل إلى المُجَوِّهر، وهي مُصَحَّحة لوجود الرمز «صح» في حاشيتها مَقْرُونًا بالتصحيح المُناسب لِمَا في المَن. وتحتوي النسخة على رمز آخر، هو عبارة عن ثلاث نقط متراكبة، وهي عادة تفيد التشطيب على الكلمة أو الجملة التي وُضِعَتْ فوقها، لكنّها في هذه النسخة وُضِعَتْ للفصل بين بعض الجُمَل. كتبها إبراهيم بن سعيد الرسبطني، حيث فرغ من كتابتها أواخر شهر محرّم عام 941 هـ / 1534 م.

عدد الصفحات: 43 ص.

المقياس: 18 x 28 سم.

المسطرة: مختلفة بين 25 و 26 و 27 سطرا.

التعقيية مائلة.

النسخة الرابعة: محفوظة في دار الكتب الناصرية بتمكروت في المملكة المغربية؛ مسجّلة تحت رقم 1378. تقع ضمن مجموع مسجّلة تحت رقم 1644 يد، بعنوان: خطب الأعياد والجمع. وقد رمزت إليها بالحرف «ت». وهي نسخة غير تامة، مبتورة النهاية، مكتوبة بالخط المغربي لا بأس به، مشكولة شيئا ما؛ دون ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ؛ على الرغم من ذلك فهي حديثه العهد. وتحتوي النسخة على رمز آخر، هو عبارة عن ثلاث نقط متراكبة، وهي تفيد الفصل بين عبارات الخطب.

عدد أوراقها: 18 ورقة.

مقياسها (طولا وعرضا): 15 X 20 سم.

مسطرتها: 22 سطرا.

التعقيية مائلة.

ملاحظة هامة: استعنت كذلك في عملي هذا بالإطلاع على تحقيق الأستاذ الجليل الدكتور أحمد حدّادي رئيس المجلس العلمي بفجيج بالمملكة المغربية لبعض خطب ابن عباد<sup>(1)</sup> وقد حقّق منها ثلاثة من خطب المواسم<sup>(2)</sup> مستندا في عمله على مخطوطين: الأولى وهي المخطوطة التي رمزت إليها بالحرف «م» السابقة الذكر؛ والثانية مخطوطة خاصة أمده بها الأستاذ الباحث عبد العزيز الساوي وتحتوي على مجموعة من خطب مجهولة النسبة مكتوب على غلافها: «مجموع خطب وعظية مهمّة ترقى إلى العصر المريني»<sup>(3)</sup>. وقد تبين للأستاذ حدّادي أن المنهج الذي صيغت به خطب مخطوطة الخزانة الملكية ومنهج الخطب في المجموعة الثانية كانا متقاربين. وفعلًا بعد مقارنتي لما لديّ من مجموع خطب الجمعة لابن عباد، والتي قيدها الفقيه العالم الشهير عبد العزيز الحسن الزيّاتي بالقصر الكبير بالمملكة المغربية في عام 1041هـ/1630م، وصلتُ إلى نفس النتيجة؛ وهي أنّ معظم الخطب المجهولة النسبة في مجموع الأستاذ الساوي هي لابن عباد. وسيتبين ذلك في تحقيقي لخطب الجمعة لابن عباد عما قريب، إن شاء الله. وهكذا، فقد أشرت إلى تحقيق الأستاذ حدّادي بالحرف «ط»؛ وإذا ما استأنست بمخطوط الأستاذ الساوي، والذي أمدّني الأستاذ حدّادي - حفظه الله - بنسخة مصوّرة منه، فسأشير إليه بالحرف «س».

أخيرا أشكر الأساتذة الفضلاء والأخوان الكرام الذين أبدوا ملاحظاتهم أو قدّموا مساعدتهم لإنجاز هذه الخطب - غفر الله تعالى لهم وأجزل مثوبتهم.

وختامًا - أسأل الله العليّ القدير أن يرحم ابن عباد ويرزقه أعلى درجات القرب وينفع بهذه الخطب من تراثه القارئ والمحقّق وجميع المحبين الصادقين لوجه الله

(1) محمد بن عباد الرندي النفزي، من خطب محمد بن عباد النفزي (733هـ / 792هـ)، اختيار وتعليق د. أحمد حدّادي، وجدة: مطبعة الجسور، 2013.

(2) وهي خطب في فضائل شهور رجب الفرد، شعبان، ورمضان على ما وجدت في عملنا هذا.

(3) وهذا المخطوط يحتوي على 50 خطبة؛ وهي نسخة تامة، مكتوبة بالخط المغربي واضح حسن، يميل إلى المُجَوَّهر مع استعمال الخطّ الجليّ لرؤوس الخطب، دون ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ؛ وعلى رغم من ذلك فهي ليست حديثة العهد جدًّا، لعلها من القرن الحادي عشر. عدد أوراقها: 172 ورقة. مقياسها (طولا وعرضا): 15 X 20 سم. مسطرتها: 24 سطرا.

تعالى. كما أرجو أن تقع هذه الخطب في يد خطيب للجمعة أو العيد فيدمجها في خطابه مع عباد الله، وبها ينفع المؤمنين والمؤمنات من كلام ابن عباد.

جعلني الله وإياكم ممن دُلَّ على الصراط المستقيم فسلكه، وعرف مردّهواه فقهره وملّكه؛ وصرفنا فيما يرضاه من القول والعمل وتفضل علينا بعفوه، فهو أكرم من تفضل؛ إنّه سميع مجيب.

### قائمة رموز المخطوطات

- م = مخطوط الخزانة الملكية رقم 2688  
 ب = مخطوط الخزانة الملكية رقم 12945  
 ن = مخطوط مصطفى الناجي  
 ت = مخطوط دار الكتب الناصرية بتمكروت 1644  
 س = المخطوط الخاص للأستاذ عبد العزيز الساوي  
 ط = النص المحقق بتحقيق الدكتور أحمد حدادي  
 + = كلمة زائدة.  
 - = كلمة ناقصة.

### □ المؤلف في سطور

ذُكِرَ ابن عباد في كثير من كتب التراجم التي تتحدث عن علماء فاس وقد أثنت على مقامه علماً وعملاً، فمن أراد أن يتعمق في التعرف على شخصية هذا العلم من أعلام الغرب الإسلامي فليرجع إلى هذه المراجع. وباختصار أنقل هنا مقالة قد كتبها عالم مغربي آخر، الدكتور عبد القادر زمامة - وهو أستاذ في كلية الآداب في مدينة فاس - وهو من الذين يمثل في أخلاقه وسلوكه شخصية ابن عباد أحسن تمثيل؛ فأذكر هنا ما قاله سيدي عبد القادر تبرّكا به من جهة واستفادة من عميق معرفته بابن عباد معرفة من عاشه روحاً ومكاناً وإن لم يعاشره زماناً. ولكن قبل ذلك أذكر ما ذكره الشريف محمد بن جعفر الكتّاني في سلوة الأنفاس: «الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام العارف بالله، الدالّ في جميع أقواله وأفعاله على الله، الولي الكبير القدوة الشهير الزاهد الورع النبيه سالك المسلك الصوفي، الفقيه ذو العلوم الباهرة والمحاسن المتظاهرة، سيّد العارفين بالله في زمانه ووحيد عصره وأوانه، سليل الخطباء البلغاء، ونتيجة العلماء الكبراء، أبو عبد الله سيدي محمد (فتحا) ابن الشيخ



الفقيه الواعظ الخطيب أبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى ابن عباد النفزي الحميري نسباً، الرندي بلدًا، الشهير بابن عباد<sup>(1)</sup>. ويظهر من خلال هذه التراجم أن ابن عباد كان من أوائل علماء المغرب الذين كان لهم تأثير في تقدّم التربية وفق منهج الطريقة الشاذلية ضمن الحلقات العلمية لفقهاء القرن الثامن الهجري في عهد المرينيين بفاس. وقد شهد له معاصروه أنه كان قدوةً في سلوكه وآرائه ممّا جعله يحظى بالاحترام عند الخاصّة والعامة؛ بل كان من أبرز من أسسوا للتّوابع الروحية الدّينية للمملكة المغربيّة بعد انفصالها عن الأندلس؛ وقد مثّل في سلوكه المسلك الأخلاقيّ المغربيّ المعتدل الأصيل.

وكتب عنه الأستاذ عبد القادر الزمامة<sup>(2)</sup>:

محمّد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم يكنى بأبي عبد الله. ويُعرف في كتب التاريخ والطبقات بابن عباد الرندي. وعباد جده الأعلى. ويُزاد في نسبته: الحميريّ النفزيّ. وفتح الميم من اسمه فيقال فيه محمّد. ولد بمدينة رُنْدَة (Ronda) جنوب الأندلس سنة 733 هـ / 1333 م من أسرة ذات ذكر وشهرة في الأندلس. كان والده عالماً خطيباً واعظاً. وكان خاله فقيهاً قاضياً. وكانت رُنْدَة من المدن الأندلسية التابعة لبني الأحمر، ملوك غرناطة. إلّا أنّ الظروف السياسية والعسكرية اقتضت أن تكون تحت حكم بني مرين ونفوذهم في فترات معيّنة وهي من المدن الأندلسية التي شاهدها ووصف بعض معالمها الرحالة ابن بطوطة وقال عنها: «وهي من أمنع معاقل المسلمين وأجملها...»<sup>(3)</sup> وقد حظي ابن عباد بعناية خاصة من والده وخاله وعلماء آخرين من شيوخ رُنْدَة، فنال من التربية ودراسة معارف العصر ما أهله لاتباع المادة العلمية من قرآن وحديث وفقه وعقائد وأدب وسيرة وتاريخ ونحو ولغة ممّا يظهر أثره جلياً فيما كتبه بعد من رسائل وما ألفه من كتب وما ألقاه من خطب وأحاديث ومواعظ.

(1) سلوة الأنفاس، 2/ 149-150.

(2) الزمامة، عبد القادر، «من أعلام الغرب الإسلامي: ابن عباد الرندي»، في آفاق الثقافة والتراث - ع (7)؛ رجب 1415 هـ / ديسمبر / كانون الأول.

(3) رحلة ابن بطوطة 2/ 188.

ولا نعلم شيئاً محققاً عن دخول ابن عباد عاصمة غرناطة أو عدم دخولها والترجمة الموجودة في كتاب الإحاطة لابن الخطيب<sup>(1)</sup> وكذلك في كتاب الكتيبة الكامنة<sup>(2)</sup> للمؤلف نفسه هي في الحقيقة لشخصية أخرى، صاحبها محمد بن يحيى ابن عباد الرندي النّفزي ويكنّى بأبي عمرو. وبسبب هذه الترجمة التي كتبها ابن الخطيب في كتابه الإحاطة والكتيبة الكامنة وقعت عدّة أخطاء في الاستنتاجات حيث ظن بعض المؤلفين والباحثين أنّها لابن عباد الرندي الصوفي الذي نتحدث عنه الآن، وليست كذلك.

غادر ابن عباد الرندي الأندلس إلى المغرب في تاريخ لا نعلمه بالضبط إلاّ أنّه يجب أن يكون قبل سنة 765 هـ / 1364 م وهي السنة التي توفي فيها شيخه في التصوّف ومربيّه في السلوك أبو العباس أحمد ابن عاشر الصوفي دفين مدينة سلا وضريحه مشهور بها إلى الآن.

والذي يُلفت النظر في أثناء البحث والاستقراء للمصادر القديمة أنّ الحَضْرَمي يذكر في كتابه السلسل العذب والمنهل الأحلى مرافقة ابن عباد الرندي في الأخذ عن شيخه أبي العباس ابن عاشر لشخصيتين هما أبو بكر بن إبراهيم الرندي المكنّى بأبي يحيى ومحمد ابن قاضي سلا إذ ذاك أحمد الزهري.<sup>(3)</sup> ويظهر من كلام الحَضْرَمي - وهو مؤرّخ معاصر لابن عباد - أن أبا بكر ابن عباد كان صوفياً زاهداً ذا سلوك خاص وأتباع وتلاميذ<sup>(4)</sup>.

وتنقلّ صاحبنا ابن عباد الرندي باحثاً عن الأساتذة والشيخوخ في كلّ من تلمسان وفاس وسلا وطنجة وربّما في مُدن أخرى. إلّا أنّ المصادر التي بين أيدينا الآن لا تفيدنا بالمعلومات التي تحدّد ذلك بالزمان والمكان ليمكننا معها تفصيل مراحل حياته بالمغرب. وبما أنّ ابن عباد دخل مدينة تلمسان وكان من التلاميذ الذين حضروا مجالس القاضي أبي عبد الله المَقْرِي - جدّ مؤلّف نفح الطيب، فإنّ المَقْرِي الحفيد -

(1) الإحاطة 3 / 253.

(2) الكتيبة الكامنة، 40.

(3) يكتب الحَضْرَمي عن ابن عباد في السلسل العذب والمنهل الأحلى: «من أشدّ المريدين مروءة وأكثرهم حشمة وأثرهم للخلوة وأدأبهم على مطالعة كتب العلماء ومصنفات الفضلاء وله مآثور صحبة مع الشيخ أبي العباس بن عاشر ومرافقته مع الزهري المتقدم الذكر وأخيه أبي يحيى بن عباد.» ص 78؛ تحقيق محمد الفاسي في مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد العاشر، الجزء الأول، مايو 1963.

(4) انظر السلسل العذب ص 67 - 68: أبو بكر أبي إسحاق إبراهيم بن عباد.

**صاحب نفح الطيب** - تحدّث طويلاً عن ابن عبّاد لأنّه من تلاميذ جدّه.<sup>(1)</sup> وذكر نقولاً ومعلومات تتعلق بثقافته العلمية وتربيته الصوفية وشهرته في البلاد المغربية.

كان ابن عبّاد في المغرب يعيش في ظروف دقيقة من تاريخ دولة بني مرين، بعد موت أبي عَنان وأبي سالم ودخول البلاد في دوّامة من الإضطرابات والتكالب على السلطة والنفوذ وتدهور العلاقات بين المغرب ودولة بني الأحمر.

ولقد انعكس ذلك كلّ على الحياة العامة في البوادي والحوضر، وعلى تفكير الناس وسلوكهم. وخير معبر عن هذا ما كتبه ابن عبّاد في مجموعتي رسائله الكبرى والصغرى، وفيما كان يرأسل به أهل السلطة من استنكار للمظالم والتضييق على الناس في معاشهم بفرض أصناف من الضرائب والجبايات والمكوس.

وكان هذا مدعاة ليكتفّ حول ابن عبّاد عدد كبير من التلاميذ والأتباع وأن تنشأ حول تصوّف وسلوكه الاجتماعي والأخلاقي مدرسة واضحة المعالم في عصره، ولا سيما في تلاميذه، ومن أشهرهم ابن السكاك (818 هـ / 1415 م).

كما أنّ شهرة ابن عبّاد بالعلم والصلاح وبُعدّه عن الشبهات وإقباله مع تلاميذه على الحياة الصوفية بورعها وعبادتها ورياضتها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأساليب ليّنة نافعة، كلّ ذلك جعل أهل السلطة في فاس يلزمونه بالقيام بعمل ذي تقدير واعتبار يستحقّه هو إمامة جامع القرويين والخطابة فيه. وكان ذلك سنة 777 هـ / 1375 م أي في المرحلة الأخيرة من حياته واستمر قائماً بهما طيلة خمس عشرة سنة إلى أن توفي سنة 792 هـ / 1390 م وأقبر في ضريحه الشهير بباب الحمراء من مدينة فاس، وهو مشهور بها إلى الآن.

وكان تصوّف ابن عبّاد كما يظهر من كتاباته قائماً على أساس دقيق من تصفية النفس عن طريق تقوية الإرادة بالرياضة الدائمة من خلوة وانقباض وورع وزهد وخمول وتواضع. وقد طبّق ذلك على سلوكه الخاص. فعاش مبتعداً عن المال والجاه مقبلاً على الواجبات والفرائض والنوافل وإخلاص النصيح لعامة الناس وخاصتهم، ولم يتزوج.

ولا ظلّ في تصوّف ابن عبّاد لوحدة الوجود ولا لوحدة الشهود ولم يرم نفسه ولا أفكاره في الشطحات والmetaهات. وغاية الأمر أنّه اتخذ الشاذلية قدوةً ومنهاجاً، ولم يأخذها عن شيخ معين كما يظهر.

(1) المقرئ، أحمد ابن محمد، كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عبّاس، (بيروت: دار صادر) 1968.

ترك ابن عبّاد ذكرى طيّبة بالمغرب ولاسيما في مدينة فاس. وتُنسب إليه بها عدّة أشياء. وتُروى له عدّة أخبار في الورع والعلم وتدلّ على رغبته في تربية أتباعه وتلاميذته على الإخلاص والزهد والسعي لإصلاح أحوال المجتمع بطريقة شرعية. كما أنّ كتب التاريخ والتراجم والفهارس تحدّثت عنه بوصفه من أعلام المعرفة والتصوّف الذين تركوا أمثلةً حيّةً في مجتمعهم لا ينساها الناس.

(انتهى كلام الأستاذ عبد القادر الزّمامة)

□ من مؤلفاته

- شرح حكم ابن عطاء الله: وقد وضع بعض النّسّاخ لهذا الشرح اسم كتاب التنبيه مبنياً على قول ابن عبّاد في مقدمته «أخذنا في وضع تنبيه»؛ كما أنّ بعض النّسّاخ أطلق عنواناً آخر على هذا الشرح فسّمّاه غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية. طبع في القاهرة عدة مرات أحسنها تحقيق الشيخ عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف.<sup>(1)</sup>

- الرسائل الكبرى<sup>(2)</sup> أرسل معظمها إلى صديقه وتلميذه يحيى السراج (805 هـ / 1402 م). من أبرز من ذكرها تلميذ ابن عبّاد الشيخ أبو يحيى محمد بن السكّاك (ت 818 هـ / 1415 م) في كتابه الأساليب، وهذا نصّ عبارته: «مدارها على الإرشاد إلى البراءة من الحول والقوّة، وقد أحتوت على بُدّ تشبه أنفاس الأكابر؛ وما أشبهه في حسن تصرّفه في الطريق الشاذلية وجودة تنزيهه له على الصور الجزئية وبسط التفسير وإنهاء البيان فيه إلى أقصى غاياته والتفتّن في تقرب ما غمّص إلى الأذهان بالأمثلة الوضعية والتراكيب المألوفة عند العامّة إلا بالفقيه الحافظ المحض الإمام ابن رُشد؛ فإنّه قرّب المذهب المالكي تقريباً لم يُسبق إليه - رحمة الله عليه - وكذا سيّدنا الخطيب العارف قرّب حقائق الشاذلية تقريباً لم يُسبق إليه.»<sup>(3)</sup> وقال أحمد زروق في عدّة المريد الصادق في كلامه عن أصول القوم الأربع: «الثاني: شهود المنّة باستصحاب الشكر، ويجري ذلك في الجلب والدفع ديناً ودنياً وعِلماً وعملاً وحالاً»

(1) ابن عبّاد الرندي، غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، الدراسة والتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف (مطبعة السعادة: القاهرة، 1970).

(2) ابن عبّاد الرندي، الرسائل الكبرى، الدراسة والتحقيق كَيْثْ هَنْرَكَنْب (دار المشرق: بيروت، 2005).

(3) ابن السكّاك، كتاب أسلوب من الكلام على لا حول ولا قوّة إلا بالله (كتاب الأساليب)، مخطوط محفوظ في الاسكوريال تحت رقم 374، ضمن مجموع من ص 3/ب إلى 168/ب، 914 هـ / 1508 م؛ ص 108/ب.

وعليه مدار طريق الشاذليّة، وتحريرها في كتب ابن عطاء الله، وزبدتها في رسائل ابن عباد وشرحه.<sup>(1)</sup> وقال يحيى السراج في فهرسته: «تكلّم في علوم الأحوال والمقامات وما يدخلها من العلل والآفات. وألّف في ذلك التواليف العجيبة، والتصانيف البديعة، وله أجوبة كثيرة في مسائل من العلوم، حتّى جمعت منها نحو مجلدين.»<sup>(2)</sup> لعله يشير إلى الرسائل الصغرى والكبرى.

- الرسائل الصغرى<sup>(3)</sup> أرسل بعضها إلى يحيى السراج وبعضها إلى محمد بن أدبية. ذكرها المَقْرِي في نفح الطيب<sup>(4)</sup> والشيخ أحمد زروق في شرحه الحادي عشر على الحكم العطائية وقال فيها: «وهي أوفر علماً وأوضح، وإن كانت الكبرى (يعني الرسائل الكبرى) أعظم نوراً وإفادة»<sup>(5)</sup>. وقال الأستاذ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني في مقالته ابن عباد الرندي: حياته ومؤلفاته: «والرسائل الصغرى هي كذلك في جملتها وصايا يتوجه بها ابن عباد إلى مريديه السالكين مجيباً لهم على بعض أسئلتهم في التصوّف وشارحاً لهم فيها بعض آدابه ومقاماته.»<sup>(6)</sup>

- كتاب فَتْحُ التَّحْفَةِ وَإِضَاءَةُ السُّدْفَةِ<sup>(7)</sup> وهو مجموعة أحاديث نبويّة في موضوع الزهد والعزلة والتعقّف. قد جمع ابن عباد غالب الأحاديث الموجودة فيه من كراسة صغيرة سمّاها صاحبها تحفة الموقّفين المحبّين لسنة سيّد المرسلين، كانت تتداول بين أيدي الناس في فاس في أيامه. فأخذها ورّبها وبوّبها وزاد فيها أحاديث وأبواباً ممّا يليق بالموضوع. ثم قام بكتابة مقدمة لها وبشرح غريبها.

(1) زروق، أحمد، «عدّة المريد الصادق» في الشيخ أحمد زروق: آراؤه الإصلاحية: تحقيق ودراسة لكتابه عدة المريد الصادق، تحقيق إدريس عزوزي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: المملكة المغربية، 1998، ص 432.

(2) السراج، أبو زكريا يحيى، فهرسة الإمام الحافظ: أبي زكريا يحيى بن أحمد السراج الفاسي، تحقيق د. نعيمة بنيس، دار الحديث الكتانية: المملكة المغربية، 2013، ص 226.

(3) ابن عباد الرندي، الرسائل الصغرى، الدراسة والتحقيق الأب نوياليسوع، دار المشرق: بيروت، 1974.

(4) نفح الطيب، 3/ 178.

(5) نقلا عن سلوة الأنفاس، ص 2/ 152.

(6) أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، ابن عباد الرندي: حياته ومؤلفاته، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1958، 221-258، ص 253.

(7) ابن عباد الرندي، كتاب فتح التحفة وإضاءة السدفة، الدراسة والتحقيق مولاي عبد الإله أماكي وعبد الرحمن بلحسن (دار نشر المعرفة: الرباط، المغرب 2002).

بغية المريد<sup>(1)</sup> وهو ترجيز حكم ابن عطاء الله، تحتوي على ثمانمائة وواحد بيت وتقوم كشرح لمائتين وواحد وستين حكمة والرسائل الأربع التي يحتوي عليها كتاب الحكم لابن عطاء الله - رحمه الله تعالى. ففي الأبيات الأولى من الأرجوزة يوضح ابن عباد للقارئ أهدافه في نظم الحكم وأنه من جهة ميسراً للحفظ، كما يقول:

نِظَامُ مَا قَدْ صَاغَ تَاجُ الدِّينِ      مِنْ حِكْمٍ كَالْجَوْهَرِ الثَّمِينِ  
فِي رَجَزٍ مُهَذَّبٍ فِي اللَّفْظِ      مُقَرَّبٍ مُيَسَّرٍ لِلْحِفْظِ

ومن جهة أخرى هو شرح وتكملة لما وضعه هو سابقاً من شرح للحكم العطائية؛

وَسَمَّيْتُهُ بِـ«بُغْيَةِ الْمُرِيدِ»      مِنْ أَجْلِ مَا قَرَّبَ مِنْ بَعِيدِ  
وَمَا أَبَانَ مِنْ أُمُورٍ مُشْكِلَةٍ      أَدَّى لَهَا النَّظْمُ فَكَانَ تَكْمِلَةً

- كيفية الدعاء بأسماء الله الحسنى<sup>(2)</sup> عند اقتراب نهاية ولايته كإمام لمسجد القرويين بفاس قام ابن عباد بالإجابة على إحدى رسائل رفيق دربه ومريده يحيى السراج وكان من ثمراتها أن ألف ابن عباد دعاءً مسجوعاً ماتعاً على ضوء أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين وفقاً لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». <sup>(3)</sup> فدعاء ابن عباد هذا يعرض كلاً من الأسماء التسعة والتسعين بنحوٍ يشرح بها المعنى الباطني لكل اسم على حده ويؤجّه الذاكر نحو الأحوال الباطنية الملائمة لكل اسم، وبذلك فهو يجمع بين التفكير العميق في معاني كل اسم والتخلّق بأخلاق الله سبحانه وتعالى؛ فيُمثِّلُ لنا فيه صورة واقعية من أصول طريق التصوّف وحال أهل الله تعالى من كبار العارفين بالله.

(1) ففقت بتحقيق هذا الكتاب وقد طبع في شهر رمضان المبارك 1435هـ / 2014 م من جهة دار الفتح بعمّان، الأردن.

(2) طبعه الأب نوبا في الطبعة الثانية في تحقيقه للرسائل الصغرى في الملحق الرابع تحت اسم «الأدعية المرتبة على الأسماء الحسنى» ص 204-212، (دار المشرق: بيروت، 1974). ولكن بعد حصولي على نسختين جديدتين من الخزانة الملكية بالرباط وحصولي أيضاً على النسختين اللتين اعتمد عليهما الأب نوبا رأيت بأن هذا الدعاء في حاجة إلى إعادة النظر وتحقيق جديد؛ ففقت بذلك وهو قد طبع في شهر رمضان المبارك 1435هـ / 2014 م من جهة دار الفتح بعمّان، الأردن.

(3) مسلم: كتاب الذكر.

- **مجموع الخطب** قيّد روايةً منها الفقيه العالم الشهير عبد العزيز بن الحسن الزيّاتي بالقصر الكبير بالمملكة المغربية عام 1041هـ/ 1630م. وهي تحتوي على ستين خطبة في تسعين صفحة على ما وجدت في مخطوطة خاصّة. من مواضيع الخطب مثلاً: فضائل لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، الرضى بقضاء الله والصبر على أحكامه، الإخلاص وترك الرياء، الخوف من الله وحال الخائفين، مدح السخاء وذمّ البخل، وعدد من خطب في شأن رجب الفرد وشعبان ورمضان. اشتغل في الدراسة والتحقيق لهذه الخطب القيمة حالاً مستعانا بنسخ أخرى حصلت عليها من قريب العهد في المغرب. وقام الباحث المغربي الدكتور أحمد حدادي في سنة 2013 بتحقيق بعض خطب ابن عباد من نسخة مخطوطة خاصّة واحدة<sup>(1)</sup> - جزاه الله تعالى بكل خير - قد أمدني الأستاذ بنسخة من هذه المخطوطة.

#### المكتبة القرآنية

##### الكتاب اساسيات علم ترتيل القرآن الكريم

على ما يوافق رواية الامام ورش من قراءة الامام نافع عن طريق الشاطبية

تأليف الشيخ عثمان بن الطيب الاندادي

( مختص في القراءات ومراجعة المصاحف القرآنية )

يقع الكتاب في ( 348 صفحة )

يشتمل الكتاب على المقدمة وتوطئة وعدة اساسيات لترتيل القرآن استفتاح التلاوة بالاستعاذة والبسملة وترتيل القرآن تجويد النطق بالحروف والحروف المفخمة المجموعة الأولى والمجموعة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة . وهكذا مع بقية الأساسيات الى آخر أساس وهو اساس ترتيل القرآن التدبر والفهم اثناء تلاوته ومنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في تلاوة القرآن الكريم.

(1) ابن عباد الرندي، من خطب محمد بن عباد النّفْزي 733 - 792 هـ، اختيار وتعليق د. أحمد حدادي، (وجدة، المغرب: مطبع الجسور) 2013.



## تقرير عام حول الملتقى الروحي الدولي الأول لمولاي علي الشريف دفين مراكش

أسدل الستار مساء يوم الأحد 13 أكتوبر 2021م على فعاليات الملتقى الروحي الدولي لمولاي علي الشريف دفين مراكش، في نسخته الأولى، والذي نظّمته مؤسسة مولاي علي الشريف المراكشي برحاب قصر الباهية بمراكش في سياق الاحتفال بمناسبة المولد النبوي الشريف حول موضوع «أصول المدد الروحي والامتداد الصوفي المغربي في العمق الإفريقي انطلاقاً من بيت النبوة - رعاية الدولة العلوية الشريفة للزوايا والطرق الصوفية -» وذلك بشراكة مع جامعة القاضي عياض وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش والمديرية الجهوية للثقافة بجهة مراكش أسفي.

الملتقى الذي تواصل على مدار يومين كاملين عرف مشاركة لافتة لعلماء ومفكرين وباحثين متخصصين من المغرب، و دول عربية وأجنبية مختلفة، ناقشوا مواضيع عديدة متعلقة بدور الطرق الصوفية في ترسيخ قيم السماحة والاعتدال، وأصول المدد الروحي، وكذا دور المحبة النبوية في مجال بناء الدبلوماسية الروحية بين المغرب والعمق الإفريقي.

وبعد استقبال الضيوف في صبيحة اليوم الأول، انطلقت الجلسة الافتتاحية بكلمة السيد وزير الشباب والثقافة والتواصل، ثم تلتها كلمة السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، وكلمة السيد الأمين العام للمجلس العلمي الأعلى، ثم كلمة المدير العام لمنظمة الإيسيسكو، ثم كلمة رئيس مؤسسة مولاي علي الشريف، وبعدها كلمة



رئيس جامعة القاضي عياض، وكلمة عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية، ثم كلمة اللجنة المنظمة للملتقى، لتختتم هذه الجلسة بتوقيع إتفاقية إطار للشراكة بين مؤسسة مولاي علي الشريف دفين مراکش والإتحاد الإفريقي للثقافة والتنمية بالسنغال.

عرفت الجلسة العلمية الأولى ، والتي كان محورها «التصوف سبيل المحبة والسماحة وتوطيد الروابط الروحية بين البلدان الإفريقية ورعاية الدولة العلوية لذلك» ست مداخلات، تميزت كل واحدة منها بطابعها العلمي ودور الطرق الصوفية في البناء الروحي، والتأكيد على دور التصوف في ترسيخ العلاقات بين المغرب وبلدان إفريقيا. كانت البداية مع المداخلة الأولى، المعنونة بالطريقة التيجانية، إشعاعها العالمي برعاية الدولة العلوية الشريفة، والتي ألقاها الشيخ الهادي النعمة عبد الله، رئيس الإتحاد العربي الإفريقي للثقافة والتنمية، وقد تتبع في هذه المداخلة دور العرش العلوي المجيد في رعاية الطريقة التيجانية وحمايتها، وذلك بإقامة مؤتمرات دولية لتدارس شؤون هذه الطريقة، وأيضا الدعوة الملكية لمشايخ الطريقة التيجانية لحضور الدروس الحسنية. ثم تلتها المداخلة الثانية، بعنوان «الخطبة التاريخية لابن عباد الرندي الفاسي في عيد مولد سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وأثرها في محبة آل البيت» للأستاذ عبد الهادي هنركامب، اتسمت هذه المداخلة بالحديث عن مكانة ابن عباد الرندي العلمية بين علماء المغرب، وقراءة هذه الخطبة التاريخية. وأما المداخلة الثالثة « الروابط الروحية والوشائج الأخوية بين المملكة المغربية ودولة السنغال، علاقة الشيخ إبراهيم نياس والعرش العلوي المجيد نموذجا» والتي ألقاها الشيخ بابكر عمر تبانغ، فقد كان محورها حول تأكيد العلاقة بين آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وإقرار الشيخ التيجاني بشرعية إمارة الأشراف العلويين بالمغرب، وأشار المتدخل إلى تاريخ أسرة الشيخ إبراهيم وعلاقته بالمغرب، وعن المداخلة الرابعة، وهي بعنوان « دور الطرق الصوفية في المغرب الإسلامي في ترسيخ قيم السماحة والاعتدال» وهي من إلقاء الشيخ محمد صلاح الدين المسناوي، فقد اتسمت بذكر خصوصيات إسلام أهل الغرب الإسلامي، والتي اتسمت بخاصية التلازم الوثيق في عقيدة أهل السنة والجماعة، ومذهب الإمام مالك، والتصوف السني الجنيدي. وأما المداخلة الخامسة فكانت بعنوان « زاوية الشيخ سيدي مولود فال إشعاعها المستمد من الطريقة التيجانية المخصوصة برعاية الدولة العلوية الشريفة» للشيخ مولود فال عبد الله، جاء فيها الحديث عن الدور الذي لعبه الشيخ مولود فال في نشر الطريقة التيجانية بغرب إفريقيا اعتمادا على ما تلقاه من

علماء فاس، وطرق رعاية إمارة المؤمنين للصوفية بموريطانيا. وختاماً لهذه الجلسة العلمية المباركة كانت مداخلة الأستاذة الدكتورة مليكة الوالي، بعنوان «صالحات مغربيات ودورهن في نشر العلم والصالح تحت حكم الأسرة العلوية الشريفة» والتي أرادت منها رد الاعتبار للنساء المتصوفات اللواتي تم تجاهلهن في أغلب مصادر التصوف، واختارت للحديث عن للصالحات فترة حكم الدولة العلوية الشريفة، لعددتهن الهائل خلال هذه الفترة، مع ذكر الأسباب وخصائص التصوف النسائي.

وعرفت أشغال هذه الندوة متابعة مباشرة باستعمال وسائل التواصل عن بعد من قبل مؤسستين تعليميتين هما: ثانوية أكسسوس التأهيلية بمديرية الصويرة وثانوية العودة السعدية بمديرية مراكش.

اختتم اليوم الأول من الملتقى بزيارة علمية لأضرحة أعلام الصلاح ورجالات مراكش السبع، للتأسي بسيرتهم وإحياء ذكراهم للعبرة عند أجيال الحاضر.

وفي اليوم الثاني للملتقى، كانت الجلسة العلمية الثانية صباحاً، ومحورها «التصوف والدبلوماسية الروحية» ابتدأت بمداخلة الأستاذ الدكتور محمد بلعطي، تحت عنوان «الدور الريادي للسلطان المقدس سيدي محمد بن عبد الرحمن في نشر الثقافة والمعرفة» والتي اتسمت بتسليط الضوء على نماذج مهمة في الدور الفعال الذي لعبه ملوك الدولة العلوية الشريفة في استقرار الأمن الروحي بهذه المناطق. وبعد ذلك تلتها المداخلة الثانية، بعنوان «قراءة في مخطوطة الرسالة العجالة للشيخ المختار الكونتي إلى السلطان مولاي عبد الرحمن ابن هشام» وهي للأستاذ الدكتور عبد العزيز التيلاني حيث تحدث فيها بداية عن الطريقة القادرية، وكيفية انتشارها في غربي إفريقيا، من السنغال إلى بنين، وأنها كانت من أشهر الطرق بالمغرب، ثم ذكر ما يتعلق بقسم من هذه الرسالة، حيث جاء فيها مجموعة من الأوصاف التي وصف بها الشيخ الكونتي السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام. وأما المداخلة الثالثة، فقد كانت للأستاذ الدكتور أحمد البوكيلي، معنونة بدور المحبة النبوية في مجال صياغة وبناء الدبلوماسية الروحية بين المغرب ودول العمق الإفريقي، حيث كان محور هذه المداخلة هو بيان قيمة المحبة الروحية في مجال الدبلوماسية التواصلية بين المملكة الشريفة والدول الإفريقية، والتأكيد على الدور الحضاري المتميز لمؤسسة الزوايا الصوفية في بناء فلسفة النموذج الحضاري القائم على احترام الثقافات الأخرى. واختتمت هذه الجلسة العلمية الثانية بمداخلة عن بعد، للأستاذة الدكتورة كريمة بوعمرى، بعنوان «دور التصوف في تفعيل الدبلوماسية الروحية بين المغرب وإفريقيا»

وكان محورها الأول عبارة عن لمحة تاريخية عن العلاقات المغربية-الإفريقية، و محورها الثاني تطرق إلى دور الزوايا والطرق الصوفية في ترسيخ الدبلوماسية الروحية، واقعها المعاش وآفاقها المنشودة.

وفي الختام تم تتويج هذا الملتقى بليلة الاحتفاء بذكرى المولد النبوي الشريف بمسجد مولاي علي الشريف باب هيلانة مراكش.

تضمن هذا الحفل البهيج أمداحا نبوية تخليدا لسيرته العطرة، وجلسة علمية سيرها الدكتور سعيد النكر أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، افتتحت بكلمة الدكتور اليوسفي أستاذ بكلية اللغة العربية بمراكش حيث ذكر فيها بأهمية الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف في تحقيق التآسي برسول الله صلى الله عليه وسلم، والتذكير بسيرته صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وشمائله، واستعرض أهم الفتاوى التي أجازت الاحتفال بمولد نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، كما سلط الضوء على جوانب من أخلاقه صلى الله عليه وسلم. تلتها كلمة الأستاذ البوكيلي رئيس شعبة الدراسات الإسلامية بالرباط الذي رحب بالمشايخ والعلماء والمتخصصين وربط موضوع الندوة بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحقيق الأمن الروحي في ظل إمارة المؤمنين. كما شهدت هذه الجلسة العلمية إلقاء قصائد شعرية في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم.

عرف اللقاء قراءة إعلان مراكش الروحي الذي جاء في توصياته:

1. إخضاع موضوع التصوف للدراسة العلمية الأكاديمية والمزاوجة بين البعد الروحي السلوكي والبعد المعرفي.

2. إبراز دور التصوف والطرق الصوفية في مد جسور التواصل الحضاري وترسيخ أسس الأمن الروحي والمؤاخاة الدينية القائمة على المحبة والتعاون على البر والتقوى وتوطيد هذه القيم في نفوس الناشئة.

3. توطيد العلاقات الدينية والثقافية بين المملكة المغربية الشريفة وبلدان إفريقيا بما فيه خدمة الشعوب، وإظهار أدوار الطرق الصوفية في بناء وصيانة هذه العلاقات. واختتم هذا الحفل البهيج بتلاوة برقية مرفوعة إلى صاحب الجلالة أيده الله ونصره من قبل المشاركين في هذا الملتقى المبارك تلاها رئيس مؤسسة مولاي علي الشريف المراكشي.

والختم بالدعاء الصالح لصاحب الجلالة محمد السادس نصره الله وأسرته العلوية الشريفة.



## مفاهيم إسلامية

### أهمية الاعتناء بحقوق الضعفاء والمساواة إلى قضاء حوائجهم

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي (رحمه الله)

كم هي الكلمات التي تبقى خالدة على مر الزمان متجددة رغم تقادم العصور مليئة بالحيوية والواقعية والتفجر، إنها كثيرة وكثيرة جدا يقف الإنسان أمام الواحدة منها ويشبعها تأملا فيرى كأنها قيلت في مشكل عاشه أو في حادثة يلامسها.

وان من هذه الكلمات الخوالد لتلك الجمل القصيرة التي قالها خليفة رسول الله الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما ولاه الله أمر المسلمين ليصرف شؤونهم وليقوم بأعباء الخلافة ومسؤوليات الحكم، فلقد قال في جملة ما قال (أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتموني على حق فأعينوني وان رأيتموني على باطل فسدّدوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لي عليكم) وقال أيضا في نفس المقام (القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له) إنها التوصية والتأكيد والإلحاح على الاعتناء بحقوق الضعفاء والاستماع إلى تذرّاتهم والمساواة إلى قضاء حوائجهم.

اجل إن العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص هما الشرط الأساسي لكل استقرار تنشده الدول والشعوب، ولكل انسجام لا بد منه لإثمار أي سعي، وإنجاح أي قصد.

وأي استقرار وأي انسجام يفوقان ذلك الاستقرار والانسجام الذي يحس به فقير بائس وضعيف مجهود يأتي إلى حاكم رفع الله قدره وبسط على الناس نفوذه فيهبش

في وجهه ويتسم له ويستمتع إلى أناته وتوجعته بأذن مصغية وقلب مفتوح ثم يفتش لمعضلته على الحل المنشود ويسعى بعد ذلك لإخراجه من حيز الفكرة والعاطفة إلى حيز العمل والتطبيق؟

وأي عدالة اجتماعية في الأرض تساوي تلك العدالة التي تجعل الدولة وأجهزتها تحدد من أثره أصحاب الأثرة وتضرب على أيدي الذين يريدون أن يتاجروا بالناس ويسمسروا بالأعراض والقيم والمراكز؟

إن السلطان لظل الله وسوطه وعصاه، ظل الله لمن أحرقتهم شمس الحياة يفرون إليه لقيهم حر الهجير وعصى الله وسوطه ليؤدب بهما المارقين والعابثين والمحتكرين والانتهازين.

إن أمل الإنسانية في هذه الحياة ليس مثلاً خالدة فقط فقد جاء الرسل عليهم السلام بالآيات والمثل، وجاء المصلحون من بعدهم بالحكم والنظريات الرشيدة ولكن ماذا تجدي الآيات والمثل وماذا تفيد الحكم والنظريات إذا لم تجد الأقدار رجال يتقمصونها ويسخرون جميع طاقاتهم وإمكاناتهم لحمايتها والسهر على تطبيقها !! لأنها إذا لم تطبق في دنيا العمل أصبحت أجساماً ميتة وأطيافاً في المنام و(سراباً ببقية يحسبه الضمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً).

حقاً والله إن الأعمال وحدها هي التي تكسب الأقوال فاعلية وروعة وتأثيراً لأن اقتناع العقول بالحقائق وإيمان القلوب بها قد يؤثر في بعض أصحاب الأذواق السليمة والفطر النظيفة والمشاعر الحساسة فيحدث لهم اقتناعهم رغبة باطنية ملحّة تدفعهم دفعا إلى التطبيق والانجاز وهؤلاء هم الذين يمكن أن يسموا بأصحاب الضمائر اليقظة أو الحية وكم يا ترى نسبة هؤلاء الأفاضل أمام تلك الكثرة الكاثرة من الذين أصيبوا بالنسيان يتأثرون فيكون وينسون فيلسون أمام أولئك الذين كانت قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة يرون الحياة على رحابتها منحصرة في ذواتهم مخلوقة لمتعهم ونزواتهم؟

إن هذه الأصناف الثلاثة من البشر وجدت من يوم أن وجد أولاد آدم ووجدت أيضاً في حياة الرسل عليهم السلام أو بعد انتقالهم لجوار ربهم بقليل، فلا بد أن تبقى موجوده بل وكثيرة ما دام هذا الإنسان فوق ظهر الأرض مهما خيل إليه انه تقدم عن سبقه أو انه أضاف إلى خبرة الإنسان ومدارك الإنسان وعلوم الإنسان مدارك

وخبرات ومعارف جديدة لان هذه الأشياء وإن أثرت في حياته المادية وقلبت رأسا على عقب فإنها لن تؤثر فيما فطره الله عليه من طباع جبلية وغرائز فطرية تجعله دائما محتاجا إلى توجيهات الموجه ونصائح الناصح وتأديب المؤدب حتى تستقيم كل قناة عوجاء، وحتى تندفع الطائفة الثانية والثالثة من البشر في طريق الخير وحتى تستطيع أن تتخلص من مركبات أنايتها وأثرتها ومركبات نسيانها وتناسيها.

لقد احتاج مجتمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو المجتمع الذي هذبته الرسالة وصهره الجهاد إلى أن يسمع من أبي بكر الصديق تلك المقالة المدوية وذلك التهديد والوعيد واحتاج أيضا إلى أن يرى لتلك المقالة أعمالا ويلمسها تطبيقا.

ومجتمعنا اليوم أيضا محتاج كذلك إلى أن يرى أعمالا تشمل كل الميادين وتدخل جميع القطاعات وتهم من كبر شأنه ومن صغر شأنه لأننا جميعا بشر ننسى ونتناسى ونجهل ونتجاهل ونصاب بالأمراض النفسية وبالنعرات القبلية وتأخذنا العزة بالإثم فما أحوجنا دائما إلى من يذكرنا إن نسينا ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ويعلمنا إن جهلنا ويحملنا على الطريق حملا إن نحن ثقاقلنا (وان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن).

### صدر أخيرا

. كتاب اللؤلؤ المنشود من رواية قالون من طريق أبي نشيط محمد بن هارون

تأليف الدكتور أسامة بن العربي، نشر دار ابن عرفة تونس

يقع الكتاب في 268 صفحة

وفي فهرس موضوعات هذا الكتاب بعد مقدمة الطبعة الأولى والثانية والتقديم الذي كتبه الدكتور فتحي بن الشريف العبيدي وتعريف القراءة والرواية والوجه وترجمة الامام نافع وترجمة الامام قالون وترجمة طريق أبي نشيط أستاذ المؤلف في رواية قالون عن الامام نافع ثم أورد المؤلف القول في مختلف المسائل هذا العلم وفرش الحروف وتضمن الكتاب عدة ملحقات.



## من مؤسسي الإملاءات القرآنية بتونس: الشيخ عبد العزيز الباوندي (1893 - 1940)

بقلم الأستاذ محمد العزيز السّاحلي

هو المنعم المبرور فضيلة الشيخ عبد العزيز الباوندي المصلح المرشد الواعظ مؤسس الإملاءات القرآنية بتونس. ولد بالحاضرة سنة 1893 في بيت علم ومجد، وبعدما حفظ القرآن الكريم وتعلّم مبادئ اللغة العربية التحق بجامعة الزيتونة المعمور فاندرج في سلك طلبته وتفرّغ لطلب العلم بكّد وجدّ وانتقل بنجاح من سنة إلى أخرى من سنوات التعليم الزيتوني إلى أن أحرز شهادة التطويع ليصبح بعد ذلك مدرّسا. وقد تتلمذ شيخنا المفضل إلى نخبة من علماء عصره الأفاضل في مقدّماتهم الأستاذ الإمام العلامة الشيخ سالم بوحاجب طيّب الله ثراه. ساهم الفقيد العزيز في إحياء سنة تلقين القرآن الكريم بطريقة الإملاء وأسّس دروس الإملاءات في كثير من مساجد تونس العاصمة حتّى أصبح كلّ حي في أحد مساجده تقام فيه الإملاء بين المغرب والعشاء بما يفوق العدّ. ثمّ تولّى وجهته نحو بلدان الإيالة التونسية فأسّس في كلّ بلد زاره إملاء وأقام الاحتفالات لهذا الغرض الشريف يحضرها كافة الطبقات فيعظ الحاضرين ويذكّرهم بقيم الإسلام السمحة ويرغبهم في الإقبال على حفظ كتاب الله العزيز والاهتمام بتعاليمه وتطبيق ما جاء في السنة النبوية المطهرة والبعد عن مواطن الفساد. كما أسّس دروس الوعظ والإرشاد في الجهات التي زارها فكان لعمله هذا عظيم الأثر من غير ضوضاء ولا رياء وبذل في سبيل غرضه الشريف كل رخيص

ونفيس جاعلا رائده الدعوة إلى ما فيه الخير والإصلاح ورضا المولى عز وجلّ ممّا أزعج السلطة الاستعماريّة الفرنسيّة التي ناصبته العداوة. وقد تعرّف في زيارته لجهات البلاد بأفضل الرجال الذين أحبوه فشدّوا أزره ونشروا بين النّاس الفضيلة ونهوا عن المنكر وارتكاب المعاصي بما خلّد له ولهم مبرّات حسان كتبت لهم على صفحات التاريخ الحديث جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء. هذا والجدير بالملاحظة أنّ فضيلة الشيخ سيدي عبد العزيز الباوندي كان حريصا على تنظيم دروس للعموم في رحاب جامع أبي الخيرات يوسف صاحب الطابع بحي الحلفاوين الشّعبي، منها دروس الوعظ والإرشاد التي كان يلقيها هو نفسه وأحيانا صديقه سماحة الشيخ علي ابن الخوجة المفتي والإمام الخطيب للجامع رحمه الله. كما ساهم الفقيد في تأسيس الإملاءات القرآنيّة في سائر جوامع العاصمة وكان ينتقل كل يوم بين المغرب والعشاء من جامع إلى جامع لتفقد الإملاءات القرآنيّة، ولا يتورّع من دخول المقاهي المنتشرة عهدئذ في بطحاء الحلفاوين لدعوة روادها إلى الإقلاع عن لعب الورق وحثّهم على الالتحاق بجامع صاحب الطابع وحضور دروس المؤدّب الشيخ سيدي سالم بن قدور الذي كان يقوم بتلقين القرآن الكريم للكهول بطريقة الإملاء كما ذكر لي ذلك والذي المؤرّخ حمادي السّاحلي رحمه الله. وبعد وفاته عوّضه شيخنا المفضل المرحوم المقرئ الشيخ محمد الخطوي دغمان الذي استمرّ في تحفيظ القرآن بجامع صاحب الطابع من سنة 1946 إلى سنة 1997 جزاه الله أحسن الجزاء.

إنّ من علامات القبول وصدق نية الشيخ الباوندي أن بقيت آثاره الإصلاحية بعد وفاته كما هي عليه في حال حياته في الحاضرة وكثير من ولايات الجمهوريّة التونسيّة وقد قام مقامه في تونس أخوه المرحوم الشيخ علي الباوندي يعاضده رجال جلة ممن كانوا في حياة الفقيد عضده الأيمن في القيام بالمشروع الإصلاحي من تلامذته الأوفياء نذكر من بينهم: الشيخ محمد الصادق بسيس والشيخ حسن الخياري والشيخ علي التريكي برّد الله ثراهم والشيخ عبد المجيد البراري حفظه الله - توفي الراحل العزيز في 10 رجب 1359هـ / 1940م ودفن بمقبرة الزلاج بجوار المقام الشاذلي وقد رثاه كثير من الشعراء بقصائد تعدّد مزايا الشيخ ومناقبه الجميلة ومن بينهم الشّاعر الشيخ العروسي العبادي المدرّس بنفطة، ومما جاء في هذه المراثية ما يلي :



|                               |                            |
|-------------------------------|----------------------------|
| الله أكبر كل حي فان           | قد مات حامل راية القرآن    |
| مات الإمام بعلمه وبهديه       | مات الملاذ وعمدة الحيران   |
| مات المبرز في العدالة والتقوى | مات النصير لأشرف الأديان   |
| مات العفيف بزهده وبحلمه       | مات الجريء على ذوي الطغيان |
| مات الكريم ببرّه وصلاته       | كاسي العراة ومشبع الغرثان  |
| عبد العزيز ومن كمثلّه         | الفذ الباوندي ما له من ثان |

رحم الله شيخنا الجليل رحمة واسعة وأسكنه فراديس جنانه وجزاه عن الإسلام  
والمسلمين خير الجزاء وإنا لله وإنا إليه راجعون.

### \* المراجع :

- (1) «المجلة الزيتونية» م4، ج8، ص 254، سنة 1941.
- (2) «مجلة معالم ومواقع» العدد1، نوفمبر 1996، ص 25-31.
- (3) كتاب «شيوخ الزيتونة في القرن الرابع عشر الهجري» للأستاذين محمود شّمام ومحمد العزيز السّاحلي، الصادر عن المطبعة العصرية بتونس سنة 1421هـ/2000م.

### صدر أخيراً

. الكتاب اعراب وضبط متن الجزرية على الرواية الزيتونية التونسية

اعراب وتحقيق وليد بن مسمية

تقديم الدكتور فتحي بن الشريف العبيدي والدكتور الهادي بن محمد رو شو  
والكتاب من إصدارات دار احياء التراث الزيتوني في علم القراءات يقع  
الكتاب في 160 صفحة وتضمن بعد المقدمات والتمهيد ترجمات الامام ابن  
الجزري والشيخ محمد بن علي بن يلوشة والشيخ عبد الواحد المارغني والمقرئ  
عبد الجواد البنغازي ومنهج الضبط ونماذج من المراجع المعتمدة في ضبط المتن  
وابواب مخارج الحروف والصفات والتجويد وكيفية استعمال الحروف وابواب  
أخرى وملحق في بيان الفروق والاجازة في متن الجزرية.



## نشاطي الموقوت رغم التردّي وانحسار القوت

بقلم الأستاذ صالح العود - فرنسا

نُجّاز من جامعة الأزهر

كُنْتُ اتَّخَذْتُ مِنْ بِلَادِ الْمُهْجَرِ سَكَنًا دَائِمًا، مِنْذَ أَكْثَرِ مِنْ (أَرْبَعَةِ) عَقُودٍ مُتَلَازِمَةٍ، مِنْ أَجْلِ خِدْمَةِ الْجَالِيَةِ الْمُسْلِمَةِ، الْقَاطِنَةِ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ، وَكُلِّ الْفَنَاتِ؛ لِإِقَامَةِ الْفَرَاثِصِ، وَشَعَائِرِ الدِّينِ فِيهِمْ، عَلَى بَصِيرَةٍ وَعِلْمٍ؛ وَتَعْلِيمِ النَّشْءِ الْحَدِيثِ النَّابِتِ فِيهَا..

وَلَمَّا أَلْقَيْتِ (الثَّوْرَةَ) بِظِلَالِهَا فِي الْبِلَادِ عَامَ (1433 هـ = 2011 م)، عَزَمْتُ بِإِخْلَاصٍ وَفِي احْتِسَابٍ، عَلَى أَنْ أَقُومَ - قَدَّرَ الْمُسْتَطَاعَ - بِمَا يَنْفَعُ الْعِبَادَ فِي دِينِهَا وَآخِرَتِهَا، ضِمْنَ اخْتِصَاصِي وَخُصُوصِيَّاتِي، سِوَاءٍ عَنْ قَرَبٍ مُبَاشِرٍ، أَوْ عَنْ بُعْدٍ بِالْوَسَائِلِ الْمُتَّاحَةِ لِي، فَإِنَّ تُونِسَ (بِلَادِي) عَزِيزَةٌ عَلَيَّ، وَخِدْمَةُ الدِّينِ فِيهَا: فَرِيضَةٌ مُحْتَوَمَةٌ، وَلَا مَجَالَ لِلْعُذْرِ أَوْ الْإِعْتِذَارِ.

فَكَانَتْ أُولَى (الْخَطَوَاتِ) الْمُنَاسِبَاتِ، وَمَا تَهَيَّأَ لِي فِيهَا مِنْ دَعَوَاتٍ، وَصَلْتَنِي مِنَ الْعُلَمَاءِ الْفَضْلَاءِ، لِأَحَاضِرِ فِي الْمَسَاجِدِ وَقَتِ الْمَوَاسِمِ الْمُبَارَكَةِ، وَأَقْدَمَ دُرُوسًا: دِينِيَّةً وَعِلْمِيَّةً وَوَعظِيَّةً، فِي أَيَّامٍ وَلِيَالِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ وَزِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ: فَقَدْ أَكْرَمُونِي وَكَرَّمُونِي بِأَنْ وَطَّؤُوا لِي صَعُودَ الْمَنْبَرِ، فَخُطِبْتُ عَلَيْهِ (الْجُمُعَةَ.. وَ الْعِيدَيْنِ) مَرَّاتٍ، حَصَلَ ذَلِكَ بِجَامِعِ الْإِمَامِ اللَّخْمِيِّ (الشَّهِيرِ) بِمَدِينَتِي صَفَاقْسَ؛ وَعَلَى مَنَوَالِ ذَلِكَ: جَامِعِ بوعَصِيدَةَ.

ثُمَّ أُتِيحَتْ لِي فُرْصَةٌ ثَمِينَةٌ مِنْ تَكْلِيفِ آخَرَ، وَهِيَ الْعَمَلُ الْإِذَاعِي: حَيْثُ قَمْتُ بِإِعْدَادٍ، وَتَحْرِيرٍ، وَتَقْدِيمِ (بِرَامِجٍ دِينِيَّةٍ وَعِلْمِيَّةٍ) فِي إِذَاعَةِ الزَّيْتُونَةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ

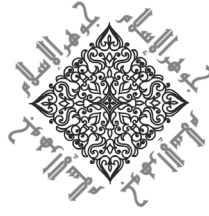
كان بثها الإذاعي على مدار (24) ساعة، يُعْطِي الأرياف والقرى والمدن التونسية، وممّا شَدَّنِي، إليها مع ضَنْك الإِرْهَاق وتعب السَّفَر، هو خبرتي الطويلة (ثلاثين) عاما من خلال عملي بإذاعة القرآن الكريم التي كانت تبث مع إذاعة الشّرق في باريس؛ كُنْتُ - وأنا أذكُر هذا جيّدًا - أُحرّر البرامج (لإذاعة الزيتونة) من مقرّ إقامتي في باريس، ويوم تُتاح لي فرصة العودة إلى أرض الوطن، أُعْلِمُ مسؤول البرامج بالهاتف، كي يحجز لي استوديو التسجيل في اليوم والوقت المعلوم، وحين الوصول من المطار أتوجّه حالًا إلى مقر الإذاعة فأُسجِّل ما أعدَدْتُهُ من البرامج، وهي تصل أحيانًا إلى (ثلاثين) حلقة - كما هي الحال في البرامج الرمضانية - ثم أغادر بعد الفراغ من تسجيلها إلى محطة سيارة الأجرة المتّجهة إلى مسقط رأسي مسافة ثلاث ساعات؛ وكما فعلتُ هذا مع إذاعة الزيتونة، فعلتُ مثله مع إذاعة الواحة (المحلية) بمدينة قابس؛ وجميع ذلك كان احتسابًا مني سواء المعلوم في العمل أو السفر. وكان (مسؤول البرامج) يومها حين يودّعني في مكتبه بالطابق الأعلى يقول لي في حماسة وحبّ: «رجاء.. لا تتأخّر عن الإذاعة.. فإن لك جمهورًا واسعًا من المستمعين: يُتابعون برامجك المفيدة، ويستمعون بها، ويستمعون إليها.» ثمّ أُسَلِّم وأُغادِر..

وقد لفت انتباهي - وأنا أقضي أيام زيارتي وراحتي بمسقط رأسي: حرصُ الناس واهتمامهم بالاستماع أو المتابعة للبرامج التي كُنْتُ أقدمها: يوميا وأسبوعيا، بل وحتى من العلماء الأفاضل: فهذا الشيخ عبد العزيز الوكيل حفظه الله، وهو خطيب جامع، ورئيس (جمعية المحافظة على القرآن الكريم/ فرع صفاقس) قال لي حرفيا صبيحة يوم لقيته: «إني أستمع إليك من خلال برامجك المفيدة، وهي من السهل الممتنع».

وكان آخر ما قدّمتُ من البرامج المهمّة بقلمي وصوتي في المجال الإعلامي: (السمعي/ البصري) داخل بلاد تونس الخضراء، هو برنامج: (كُتُب وأعلام)، لقناة الإنسان الفضائية التي تبث من مدينة المَهْدِيّة، وهو برنامج خصوصيّة: ثقافيّة، ومضمونه: تراث جامع الزيتونة، أمّا موضوعه: فهو شيوخ وأعلام من تونس، وهو برنامج فريد من نوعه بشهادة القائمين على هذه القناة؛ إذ لم يسبق أن قدّم فيها هذا النحْو من البرامج، والحمد لله على عطاء الله وفضله.

وبه يكون قد توفّق كلّ ما قدّمتُ من خير عام، ونفع هام، إلى غير رجعة.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.



## خطبة جمعة

# أين مواثيق حقوق الإنسان ممّا جاء به الإسلام؟

الحمد لله الذي خلق الانسان وفضّله على كل خلقه القائل في كتابه العزيز ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ربّ واحد وإله شاهد ونحن به مؤمنون موحدون وله عابدون ولمننه وفضله شاكرون حامدون.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله الله بالهدى ودين الحقّ إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

وأصلي وأسلم عليه وعلى آله الاطهار وصحابه الابرار صلاة دائمة متّصلة ما تعاقب الليل والنهار. صلاة وسلاما ندّخرهما ليوم الحساب نرجو بهما أن نكون من أهل شفاعته الذين يردون حوضه برحمتك يا أرحم الراحمين.

واوصيكم عباد الله المؤمنين بما أوصي به نفسي بالتزوّد بخير زاد إلى دار القرار ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

أما بعد أيّها المسلمون فيصادف يوم الجمعة لهذا العام يوما أصطلح على تسميته باليوم العالمي لحقوق الانسان، وهو اليوم الذي أصدرت فيه منظمة الامم المتّحدة الميثاق العالمي لحقوق الانسان، أريد منه وبه تجنب الانسانية مخاطر ما عانتها عبر

(1) خطبة الجمعة ألقاها الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي بالمركب الإسلامي البحيرة تونس بتاريخ الجمعة 10 ديسمبر 2021.

تاريخها الطويل من ويلات الحروب وأشدها الحربان العالميتان (الاولى والثانية) في أول ومنتصف القرن الماضي والتي ذهب ضحيتها الملايين من الانفس البشرية أغلبها من المدنيين العزل من النساء والاطفال والشيوخ جُراء نزوات وحشية لا إنسانية لقادة الدول الاستعمارية التي تنافست فيما بينها على التمدد وتوسيع مجالاتها بدأت حروبها بين بعضها البعض لتمتدّ إلى بقية البلدان الأخرى لتستحوذ على خيراتها وتستعبد شعوبها وتحرمها من أبسط حقوق الانسان ضاربة عرض الحائط بالقيم والمواثيق وما نادى به الديانات السماوية وما جاء به الانبياء عليهم السلام من هدي قويم تشترك فيه كل رسالات السماء ودعا إليه كل الرسل عليهم السلام. هذا الهدي المكرّس للحقوق الاساسية للانسان والذي يتجلّى في أروع مظاهره في دين الاسلام.

فالناظر في كتاب الله العزيز وفي هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم القويم المتمثل في سنّته التي هي أقواله وهو الذي لا ينطق عن الهوى وفي أفعاله وفي اقراراته وفي سيرته وشمائله العطرة عليه الصلاة والسلام يرى الناظر في ذلك سبق الإسلام لما تضمنه هذا الميثاق الذي يتخذ له يوم 10 ديسمبر من كل عام موعداً للتذكير بما للانسان من حقوق وما عليه نحو اخوانه في الانسانية من واجبات مهما اختلفت اعراقهم وأجناسهم وألوانهم ومراتبهم الاجتماعية وإن كان التذكير مفيداً وقد امر به الله في كتابه العزيز ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ولكن ماذا يُفيد التذكير إذا ظلت هذه الحقوق مجرد نظريات لا نكاد نرى عليها اثراً في حياة الناس وفي واقعهم ؟! فميثاق حقوق الانسان منشور ومصادق عليه من طرف كل دول العالم ولكن اين أثره فيما نراه في أغلب بلدان العالم من انتهاكات صارخة لأبسط حقوق الانسان وما يُرى اليوم من حروب ظالمة عدوانية ما تضع أوزارها في منطقة من العالم إلا لتندلع في مناطق أخرى لكي لا تتوقف مصانع انتاج الاسلحة المدمّرة والفتاكة والتي تدرّ للبلدان المشعلة لنيران الحروب الاموال الطائلة والسباق على التسلّح الذي تخاض الحروب المدمّرة على أشده.

إنه التناقض الصارخ من ناحية منظمات لحقوق الانسان وبيانات ومواثيق ومن ناحية أخرى تجارة للأسلحة تدرّ الأموال الطائلة وإحياء للفتن النائمة بإحداث الفرقة والاختلاف والتنازع بين الدول وبالخصوص الدول التي تختزن أراضيها الثروات. والواقع المرير والمرع والمحزن أن بلاد العرب والاسلام هي الساحات للاقتتال

والتنازع بين الاخوة والاشقاء الذين عاشوا لقرون مديدة إخوة رغم تنوع اعراقهم وأجناسهم وألوانهم ولغاتهم وما ذلك إلا انهم وذلك من فضل الله عليهم اتبعوا ما جاءهم به من عند الله من ارسله الله بدين الاسلام لهم وللناس كافة دينا وحدهم به بعد تفرق وادخلهم في السلم كافة بعد أن كانوا أعداء.

أصاخوا السمع إلى قول ربهم وهو يذكرهم بما كانوا عليه وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير قال لهم جلّ من قائل ﴿وَاذْكُرُوا لِلّٰهِ نِعْمَةً عَلَيْهِ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾ ما أبلغه من تصوير يشهد بما كان عليه الناس قبل بعثة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

كانوا كما صوّر حالهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهو بين يدي النجاشي ملك الحبشة (أيها الملك كُنّا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل ويقتل القوي الضعيف).

صوّر القرآن حالهم وحال الطبقات الضعيفة خاصة والتي منها المرأة التي ظلت تعتبر في الافهام القاصرة عارا يتوارى من الناس من ولدت له بنت متناسيا أنه وكل بني آدم إنما خلقهم الله من ذكر وأنثى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾.

تلك عينة معبرة على ما كان عليه الناس، كل الناس عربهم وعجمهم من فرس وروم وهند وسائر الامم.

فقبل ما يزيد على اربعة عشر قرنا من عمر الزمان أعلن الاسلام

\*الكرامة الانسانية، كرامة كل بني آدم واعلن أفضال الله ومنته عليهم جميعا فقال جل من قائل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

\* واعلن الاسلام قبل اربعة عشر قرنا من عمر الزمان أن أصل الناس واحد وأنه لا تفاضل بينهم بسبب أجناسهم والوانهم ولغاتهم ولكن التفاضل بينهم إنما يكون بالتقوى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ والخطاب في الآية بيا أيها الناس وليس بيا ايها الذين آمنوا ولا بيا ايها المسلمون لأن السياق سياق تذكير موجه للناس كافة وليس مقام امر بطاعة أو نهى عن معصية. لذلك ناسب أن يكون بيا ايها الناس لأن كل

الناس، كل بني آدم المسلم وغير المسلم يشملهم هذا التكريم.

يا ايها الناس إنا الله خلقكم جميعا من ذكر واثني نتيجة زواج شرعي وان كان ويا للأسف كثيرا ما يحيد الانسان فيجعل من التناسل وإنجاب البنين لا يكون على الطريقة الشرعية بالزواج الذي هو ميثاق غليظ له أركانه وشروطه لتكون ثمرته البنين والبنات الصالحين والصالحات.

والله تبارك وتعالى هو الذي جعل هذا التنوع العرقي أجناسا وقبائل متعددة والله تبارك وتعالى حدد الغاية من خلقه للناس أجناسا فقال جلّ من قائل (لتعارفوا) وفي التعارف التقارب والتواصل والتعاون على ما فيه الخير والصلاح للجميع.

ثم ختمت الآية بقوله جلّ من قائل ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ وكلمة أتقاكم حمالة معاني وهي الخير الكامل الشامل الذي فيه صلاح العاجل والآجل وهو لا يتحقق إلا بتقوى الله والخشية منه والرجاء فيه والتقوى لا تتحقق إلا بالامثال والتسليم والقول لسانا وحالا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾. والمسلمون هم المخاطبون بهذا القسم الاخير من الآية (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) لأنهم أمة الاجابة وامة الشهادة. الاجابة لما دعاهم الله إليه واختارهم له وجعلهم به خير امة أخرجت للناس) ولا يكونون خير امة إلا إذا استوفوا الشروط المذكورة في الآية ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ فإذا كان المسلمون كذلك كانوا شهداء على بقية الناس ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامة شهيدا وشاهدا برأ عليه الصلاة والسلام ذمته ووقف يقول في حجة الوداع (ألا هل بلغت اللهم فاشهد).

\* ومما بلغه وألح عليه الصلاة والسلام حرمة النفس البشرية أي كان دينها وجنسها ولونها ولغتها وذلك ما توالى الايات والاحاديث تذكر به وتتوعد من يتهدده مستشرفة ما سيؤول إليه شان الناس من الاقتتال وسفك الدماء وازهاق الانفس البشرية ظلما وعدوانا.

يقول جلّ من قائل في سياق التذكير بان القتل للنفس البشرية في كل الاديان والشرائع من أكبر الكبائر ليس في الاسلام فقط ولكن في كل ما سبقه من الرسالات السماوية. ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة الاية 39 وقال جلّ من قائل ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

الانعام 151 وقال سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء 93

وزاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر وتشنيعا وتشهيرا فبين عليه الصلاة والسلام أن قتل النفس البشرية أيًا كان دينها جُرم عظيم فقال (لو اجتمع أهل السماء والأرض على قتل امرئ لعذبهم الله) وقال (من اعان على قتل مسلم بشرط كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله) .

وقد حرم الاسلام قتل الانسان لنفسه بأية وسيلة من وسائل القتل للنفس انتحارا أو إحراقا أو تفجيرها فقال جلّ من قائل ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء 29 وقال عليه الصلاة والسلام (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلّدا) وقال عليه الصلاة والسلام (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة) وقال (من قتل قتيلا من أهل الذمة حرم الله عليه الجنة) فحياة كل بني آدم مهما اختلفت أديانهم واعراقهم في دين الاسلام محمية مرعية لا تنتهك ولا تقتل.

بهذا الهدى القويم يفخر المسلمون بان دينهم سبق موثيق حقوق الانسان بكل ما تضمنته من مساواة وعدل وحرية وغيرها وفي هذه كلها توات آيات الكتاب العزيز واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤسس لما تتنادى إليه اليوم الامم والشعوب وتخصص له الايام والمناسبات للتذكير به ولكن يبقى ويا للأسف الشديد حبرا على ورق وشعارا بعيدا كل البعد عن الواقع المعيش وما ذلك إلا لأنه أسس على غير بنيان صحيح من ايمان بالله راسخ يمنع من الوقوع في كل ما يغضبه ويلحق الضرر بالانسان.

أقول قولي هذا وأستغفر الله ولكم ولوالدي ولوالديكم من كل ذنب عظيم.





## التعريف بالجمعية التونسية لإحياء التراث الزيتوني



تأسست الجمعية التونسية لإحياء التراث الزيتوني يوم 6 شعبان 1432 هجري الموافق ليوم 7 جويلية 2011 ميلادي، وهي جمعية ذات صبغة ثقافية وعلمية، مهتمة بالشأن الثقافي والعلمي الديني، مرجعيتها في ذلك الكتاب والسنة المطهرة والإجماع المعبر وفق فهم علماء جامع الزيتونة المعمور ومن وافقهم من علماء الأمة.

وتسعى الجمعية إلى نشر التراث العلمي الزيتوني والتعريف به على مستوى العالم والتعريف بعلماء الزيتونة من أجل إعادة ربط سلسلة الموروث العلمي للزيتونة التي تمتد على مدى 13 قرناً. كما تسعى الجمعية لإحياء الأسانيد الزيتونية في شتى العلوم بتوريثها من بقية علماء الزيتونة - أطال الله أعمارهم - لطالب العلم اليوم.

وعمل الجمعية موجه إلى جميع أفراد المجتمع التونسي بكل فئاته العمرية وكل أطرافه المجتمعية، ولا مكان فيه للحراك السياسي ولا الإيديولوجي ولا اعتبار فيه للعنصر الجهوي والاختلاف الطائفي.

وعمل الجمعية موجه أيضاً لنشر قيم الإيجابية والمحبة والأخوة الصادقة النابعة من حقيقة الانتماء للإسلام والوطن منطلقاً من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾ (آل عمران: 103)

للجمعية ثمانون فرعاً في تونس الكبرى وسوسة وسليانة ومكش وتعمل على بعث فروع أخرى قريباً.

تمتد مدة التكوين خمس سنوات وتشمل شتى العلوم من عقيدة وفقه وأصول فقه وأخلاق وعلوم الحديث واللغة والمنطق... تخرج من الجمعية ما يزيد عن المئة طالب

بعد أن أتموا بنجاح خمس سنوات من التكوين والعديد منهم يدرسون في مختلف الفروع حالياً. وترتكز الجمعية التونسية لإحياء التراث الزيتوني في تدريسها على مقررات زيتونية مصادق عليها من النظارة العلمية لجامع الزيتونة المعمور، وتتوزع هذه المقررات حسب المستويات كالآتي:

**المستوى الأول :** - الشذرات الذهبية على منظومة العقائد الشرنوبية : إبراهيم بن أحمد المارغني - هداية المتعبد السالك شرح مختصر الأخضر في مذهب الإمام مالك : صالح عبد السميع الآبي الأزهرى - الفوائد المفهومة في شرح الجزرية المقدمة : محمد بن علي ابن يالوشة - خلاصة القول في سيرة افضل رسول : حسين بن الخوجة .

**المستوى الثاني :** - طالع البشرى على العقيدة الصغرى : إبراهيم بن أحمد المارغني الزيتوني المالكي - الدر الثمين والموارد المعين على الضروري من علوم الدين : محمد بن أحمد ميارة الفاسي - الدروس النحوية : حفني ناصف، محمد دياب، مصطفى طوم، محمد صالح، محمود عمر - مقدمات السنة : كتاب تحقيق الأمانة بمقدمات السنة النبوية : مصطفى القمودي - الأربعون النووية : ابن دقيق العيد

**المستوى الثالث :** - بغية المريد لجوهرة التوحيد : إبراهيم بن أحمد المارغني - المنظومة البيقونية : عمر بن محمد بن فتوح البيقوني - المنظومة مقدمات المال : محمد اللجمي - المنظومة إيصال السالك إلى أصول مذهب الإمام مالك : محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي

**المستوى الرابع :** - المنظومة قرة العين لشرح ورقات إمام الحرمين : محمد بن محمد الرعيني المالكي الحطاب - المنظومة إيضاح المبهم من معاني السلم : أحمد الدمنهوري - المنظومة مسالك الدلالة في شرح مسائل الرسالة : أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري - المنظومة قواعد في علوم الحديث : ظفر أحمد العثماني التهانوي

**المستوى الخامس :** - المنظومة البلاغة الواضحة ودليل البلاغة الواضحة : علي الجارم، مصطفى أمين - المنظومة أصول التخريج ودراسة الأسانيد : محمود الطحان - المنظومة التحرير والتنوير : الطاهر بن عاشور - المنظومة بداية المجتهد ونهاية المقتصد : ابن رشد الحفيد - مقاصد الشريعة الإسلامية : الطاهر بن عاشور .



## في وداع الشيخ الطالب مبارك بقدير بن صالح - رحمه الله -

بقلم الأستاذ أحمد هابة (عين صالح الجزائر)

بسم الله الرحمن الرحيم

و الصلاة و السلام على سيدنا محمد أشرف الخلق أجمعين  
قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

لعمري ما الرزية فقد مال      ولا شاة تموت ولا بعير  
ولكن الرزية فقد حر      يموت بموته خلق كثير

إيماننا بقضاء الله و قدره تودع اليوم عين صالح إماما من كبار أئمتها و هو الفقيه العارف بالله الشيخ الطالب مبارك بقادير بن صالح .

ولد فقيدنا المرحوم خلال ثلاثينيات القرن الماضي ، توفي والده و عمره خمس سنين و تكفل بتربيته أخوه الأكبر الحاج محمد بقادير ، تلقى أبجديات تعليمه الأولى في كتاتيب عين صالح على يد شيخه الحاج أحمد طالب القاضي ، ثم عند الطالب قدور نصره ، و حفظ القرآن الكريم على يد شيخه الطالب عبد الله عبد الرحمان و لازمه و كان يخلفه عند غيابه في التدريس ، و كان خادما مطيعا له ، و درس الفقه عند الشيخ الطالب محمد قاضي جماعة المسلمين ، ثم استفتح ابن عاشر عند الحاج محمد عبد القادر بلعالم والد الشيخ باي بلعالم رحمة الله عليه عند جولاته بالمنطقة ، ثم استفتح شرح أسهل المسالك عند الشيخ الفقيه سيدي محمد الجعفري الملقب السي محمد

أبالحاج خلال جولاته بالبلاد سنة 1953 ، كان في الصفوف الأولى مع الذين استقبلوا الشيخ العالم العلامة مولاي أحمد الطاهري في حلقات الدروس حين زيارته الأولى للمنطقة ، و شهد تعيين شيخه الشيخ محمد بن مالك بالمنطقة ، من ذلك الوقت لازم دروسه و استفتح عنده لوحة شرح العبقرى و الأخضرى ، و في سنة 1969 عند قدوم شيخه الشيخ سيدي أحمد البوحامدي كان في الصفوف الأولى في استقباله ، و استفتح عنده شرح خليل و الرسالة و الملح و ألفية ابن مالك و الأجرومية و القرآن الكريم و الحديث و البردة و الهمزية ، و لازمه إلى حين تعيينه بمسجد عمر بن الخطاب و كان يخلفه في مدرسته ، و كانت علاقته وطيدة بالشيخ سيد لحبيب و الشيخ سيدي محمد الفقيه و الشيخ الحاج عبد القادر المغيلي و الشيخ باي بلعالم و الشيخ سيدي الوافي بن التالي الكتتي و الشيخ عبد العزيز مهدي ، و علاقاته لا تكاد تُحصر مع الشيخ محمد الزاوي ، و كان كثير التردد على الشيخ سيدي محمد بلكبير و اجتمع بالشيخ سيدي محمد العلوي المالكي الحجازي عليهم رحمة الله .

**طريقته في التصوف:** كان له اتصال بالطريقة الطيبة و شيخه فيها عمي عبد النبي هابه زوج خالته ، و كانت له الطريقة الرقانية و كان شيخه فيها السي محمد بن مولاي زيدان الرقاني عليهما رحمة الله

**خصاله:** عرف شيخنا الجليل بتعليم القرآن الكريم و إصلاح ذات البين و إحياء المناسبات الدينية و الوطنية و تحرير العقود (البيع و الشراء) و الفتوى و توجيه مريديه و محبيه إلى الخير بالحكمة و الموعدة الحسنة ، كما عرف بالصبر و الرضى بقضاء الله و قدره و كثيرا ما يردد أن الذي لا يصبر و لا يرضى بقضاء الله و قدره لا يكون عارفا به مصداقا لما قاله ابن عاشر :

يرضى بما قدره الاله له .....  
يصير عند ذاك عارفا به حرا و غيره خلا من قلبه

كما عرف بالحض على خدمة كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و خدمة العلماء و الصالحين و أسيادنا الشرفاء ، و كان يقول : يَصِلُ الطالب في خدمته ما لا يَصِلُهُ في خلوته ، و هكذا قضى الشيخ حياته معلما و موحها و ملهما حتى صار قِبْلَةً للزائرين و المحبين و المتبركين و القاصدين قضاء الحوائج ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾. أَسْكَنَ الله شيخنا الجليل جناته جنات النعيم بجوار حبيبه و صفيه سيدنا



## يسألونك قل

### «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»

بقلم فضيلة الشيخ محمد الحبيب النفطي - رحمه الله

**لحم النذر المتصدق به على فقراء من زاروا وثيا صالحا حلال  
ويجوز الأكل منه**

**السؤال:** تقول السائلة الكريمة الآتية : - هل الزردة حرام ام حلال ؟ قال لي جارنا ان الزردة حلال اذا قدمت الى الفقراء والمساكين أما اذا ذبحت للتقرب الى الاولياء الصالحين فهي حرام. أما استاذي فقد قال لي انها حرام ومن ياكلها فهو ياكل مالا حراما. هذا وقد قمنا نحن بزردة ولم آكل منها لانني اشك في انها حلال ام حرام فغضب ابي وابني لعدم الاكل منها واقنعني بانها ليست حراما لكن هذا الامر لم يدخل ذهني ولم اقتنع به لذلك قررت ان ابعث لك سيدي الشيخ ما دمت تعرف الكثير وانا لم اجد اي شخص يقنعني ارجوك ان تدلني والله لا يضيع اجر المحسنين

**الجواب:** اعلمي ايها السائلة الكريمة ان ما ذكرته في سؤالك من هذه الزردة اي الوعدة ان كان المقصود بالزردة هو التصديق بلحم الشاة على الفقراء والمساكين المجاورين لمقام ولي من اولياء الله الصالحين وجرت عادة اهل الجهة التي يوجد فيها مقام الولي ان يعدوا بـ (وعائد) للفقراء والمساكين وان يجتمع اصحاب الوعائد في مقام الولي وان يذبحوا وعائدهم في مقام الولي ويذكروا اسم الله على الذبيحة (الشاة التي تذبح) وانما ذكر الولي كمكان للذبح واهداء ثواب هذه الوعدة للولي الذي وقعت

زيارته الاكل من هذه الوعدة جائز وهي حلال ان لم يستثن نفسه وعياله من الاكل منها فان استثنى نفسه وعياله من الاكل منها فلا يجوز له الاكل منها لانه خصصها بلفظه أو نيته ان تكون للفقراء والمساكين دون نفسه وعياله ودون الاغنياء

قال الشيخ ابو عبد الله محمد احمد عlish المتوفي سنة 1299 هـ في كتابه (فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك) رضي الله عنه في اجابة من ساله (ما قولكم فيمن نذر شاة لولي هل تلزمه مطلقا صرح في نذره بلفظ الله بان قال لله علي شاة للولي الفلاني أو لم يصرح بان لم يقل لله علي) فاجاب الشيخ عlish بقوله (تلزمه مطلقا سواء صرح في نذره بلفظ الله أو لم يصرح فيه بلفظ الله لان للنذر الوعدة صيغتين لله علي وعلي بدون ذكر الله لان المقصود انما هو التصديق بلحمها على الفقراء واهداء الثواب لروح الولي الى آخر ما جاء في فتواه هذه، ثم قال الشيخ عlish المالكي، وسئل الشيخ احمد الدردير المالكي (هل يجوز لمن نذر لله أو لولي شاة الاكل منها واطعام الغني أو لا؟ وكيف الحال؟) فاجاب الشيخ احمد الدردير رحمه الله (النذر ان عينه اي الناذر للفقراء والمساكين بلفظه أو نيته فليس له ان ياكل منه اي الناذر وان اطلق الناذر ولم يعين النذر للفقراء والمساكين جاز للناذر ان ياكل من نذره هو وعياله)، ومن كلام الشيخين عlish واحمد الدردير رحمهما الله تعالى نفهم ان الاكل من لحم الزردة (الوعدة) حلال لانها مما ذكر اسم الله عليه وانما ذكر الولي لبيان محل الوفاء بالنذر (الوعدة) لينتفع بهذه الزردة الفقراء والمساكين المجاورون لضريح هذا الولي الذي ذكره الناذر في نذره. والله الموفق .

### حكم الشرع في من يعمل في حانة

السؤال: تقول سائلة كريمة اريد طرح اسئلة تتعلق بمهنة زوجي انه يعمل في حانة منذ ما يقارب السبع عشرة سنة وبما انه يعمل في هذه الحانة فهو دائما يشرب الخمر وانا امرأته لي منه خمسة اطفال اصلي واتصدق من كل شيء دائما وانا مؤمنة بيوم القيامة وبالموت وبعذاب القبر ولا ني دائما اذكر ذلك اليوم العظيم اريد ان توضح لي ما يلي: هل صلاتي باطلة وصدقتي غير مقبولة عند الله لانها من مال حرام؟ وهل كل مليم ياتي به زوجي من عمله حرام حتى جراية اطفالي؟ يقولون ان اللحم الذي خلق من الحرام يذهب الى النار ما معنى هذا الكلام؟ فهل انا وابنائى ذاهبون الى جهنم؟ انر طريقي الى الحق فانا اريد ان ابني منزلا فهل بناؤه من المال الحرام حرام؟ ارجوك سيدي ان توضح لي كل شيء من هذه الاسئلة واجرك على الله .

**الجواب:** اعلمي ايها السائلة الكريمة ان شرب الخمر حرام باجماع علماء الاسلام وان شربه محرم بنص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ولا يجوز للمسلم ان يتناول الخمر في اية حالة من الحالات الا لازالة غصة أي اختناق الآكل بشيء من الاشياء وليس بقربه ماء او سائل طاهر كماء الورد مثلاً فانه يجوز له ان يزيل ما خنقه بجرعة خمر اما ان يشرب المسلم الخمر او يبيعها او يناولها غيره من شرابها فحرام كذلك باجماع علماء الاسلام وشربها من الكبائر التي لا تغفر الا بتوبة نصوح ولذلك قرنها ربنا تعالى في الحكم بالميسر (القمار) والانصاب (الذبح للصنام) والازلام (جمع زلم) وهي قداح كحجرة الديرينو كان اهل الجاهلية قبل الاسلام يستقسمون بها الحظوظ قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ والامر باجتنب ما ذكر يقتضي الوجوب لان عمل الشيطان واتباع خطواته حرام على المسلم اتباعهما وقال صلى الله عليه وسلم «لعن الله الخمر عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيتها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له» رواه الترمذي وابن ماجة ورواته ثقة وعليه فانت ايها الاخت الكريمة ستعلمين حكم الشرع في شرب الخمر وما يتصل بالخمر من بيع وشراء وسقي عندما تقرئين الجواب اسأل الله تعالى ان يتوب على زوجك المسكين من شرب الخمر حتى يأكل طيبا ويلبس طيبا ويسكن طيبا فانه سيسأل عنك وعن ابنائك يوم القيامة حيث كان ينفق عليكم من كسب حرام ورد في الحديث الشريف ان الزوجة وابناءها يتعلقون يوم القيامة برب الاسرة فيقولون ربنا خذ حقنا ممن كان ينفق علينا من كسب حرام اما انت وبنوك الصغار الذين هم دون البلوغ فلا اثم عليكم فيما تاكلون وتلبسون وتسكنون لان الله تعالى يقول ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الآية 81 من سورة فاطر المعنى والله اعلم لا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى بل كل نفس بما كسبت رهينة اما صلاتك ايها السائلة الكريمة فانها صحيحة لا يبطلها عمل غير صاحبها خصوصا اذا كان صاحبها اخل بشيء من شروط صحتها او بترك فريضة من فرائضها واما صدقتك من مال زوجك الحرام فانها غير مقبولة لان الله طيب لا يقبل الا طيبا وحتى لو كان مال زوجك حلالا وهو لم ياذن لك في الصدقة فانه لا يجوز ان تتصدق المرأة من مال زوجها الا بشيء يسير لا يجحف بمال الزوج.



## كعبة بطاطا أغلى وأهم من معرض الكتاب ؟

بقلم : صالح الحاجة

رأيت صورة هزلية ساخرة ومؤلمة في نفس الوقت تسخر من معرض الكتاب تكاد تنطق بحقيقة الاقبال المحدود جدا على اقتناء الكتب وقراءتها... ان الصورة تقول ان 20 ألف قهوة بيعت في هذا المعرض... وان 15 ألف سندويتش هومبورغر اشتراها زوار هذا المعرض بالاضافة الى آلاف من الشيس... والاكالات الخفيفة جدا خصوصا منها تلك التي يقبل عليها الاطفال في حين لم تبع من الكتب إلا حوالي مائة كتاب... هذه الصورة اذا اضفنا لها مشهد ذلك الكاتب المسكين الذي كان يعرض كتبه على الرصيف ويطلب من المارة ان يشتروا منه ما افنى فيه عمره ولو بملايم حتى يستطيع شراء قوت يومه... اذا اضفنا هذا المشهد الماساوي الى تلك الصورة الكاريكاتورية فاننا نفهم ان معرض الكتاب ماهو في الواقع الامجرد عنوان للزينة... ومجرد مزار سياحي... ومجرد مناسبة سنوية نحتفي بها شكليا... اما القراءة فلا نكثرث بها... واما الكتاب فاننا ننظر إليه فقط... وقد سبق ان قتلها عديد المرات ومنذ سنوات ولكن دون جدوى... لقد قلت ان تونس ليست في الواقع الا مقبرة ضخمة ورهيبة ومرعبة للكتاب... ان الكتاب في تونس لا يحظى بأي اهتمام أو احترام... ولو سألت أي مواطن : كم قرأت من كتاب في حياتك ؟ لضحك منك لأنه لم يقرأ طيلة عمره ولو صفحة واحدة من كتاب... بل الأدهى والأمر أنه يسخر من القلائل الذين يجدون سعادة وراحة في قراءة الكتب... ثم هناك ماهو أغرب... إنك تهدي كتابك إلى هذا أو ذاك فإذا بك تتفاجأ بأن ما أهديت من كتبك التي كتبتها بدماء قلبك... وأنفقت علي طباعتها من قوتك معروضة في دكاكين بيع الكتب القديمة... لقد باعها هؤلاء الذين أهديتهم أعصابك... وجهدك... وصحتك... وقطعة من حياتك بملايم... إن كعبة البطاطا في تونس أهم... وأغلى من أعظم كتاب في العالم...



de freiner la circulation des savoirs islamiques ou l'affaiblir en faveur de l'enseignement occidental laïc ou chrétien de façon progressive. C'est pourquoi les musulmans subsahariens étaient privés de tout document portant un esprit d'éveil et d'évolution.

Pour mettre en exécution de ce projet colonialiste, le général Faidherbe a procédé à la démolition de plus de 40 écoles coraniques sous prétexte qu'elles n'avaient pas d'autorisation ainsi qu'à la fermeture de plus de 15 écoles à Djenné en 1893 et pillé ses livres et ses manuscrits (Coulibaly. L 2007 :117). Cette action a affaibli la circulation du savoir et même avancement de l'Islam dans la zone notamment la Côte d'Ivoire qui entretenait un lien étroit avec cette ville.

### صدر أخيرا

الكتاب فهرس القلم كما املاه صالح العود بلسانه وحرره بينانه

(المجموع 150 مؤلفا)

تقريظ الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي (مدير مجلة جوهر الإسلام)  
 جاء هذا الكتاب تحت عنوان (وقل رب زدني علما) مشتملا على التقريظ وفيه  
 الاقتراح على الأستاذ صالح العود صاحب الباع الطويل في التأليف بان يعد ثبنا  
 لما الفه طيلة مسيرة حياته العلمية والتعليمية المباركة ليسهل على القراء الاطلاع  
 عليها والاستفادة بها نظرا لما تميز به أسلوب الشيخ صالح العود من دقة علمية  
 ويسر في العبارة واختصار غير مخل وقد استجاب الشيخ صالح العود لهذا  
 الرجا واصدر هذا الثبت (الفهرس) مفصلا ومبوبا متضمنا عناوين كل الكتب  
 التي الفها في علوم العربية والشريعة عقيدة وفقه عبادات ومعاملات وعلوم قران  
 وسنة وسيرة وتراجم) مصحوبة بتاريخ إصدارها وقد احصى المؤلف ما صدر  
 منها وهو (123) عنوانا وما سيصدر قريبا وهو (10) عناوين. بالإضافة الى كتب  
 مطبوعة باللغة الفرنسية وعددها (17) بارك الله في جهود فضيلة الشيخ صالح  
 العود ونفع بها الامة في ديار الإسلام وحيثما يوجد مسلمون.

des établissements ayant uniquement pour but de donner une éducation et instruction religieuse.  
 Article 2: les écoles coraniques et les écoles catéchismes ne sont pas considérées comme des établissements d'enseignements».

Décret n° 66 - 123 du 31 mars 1966 relatif à l'organisation de l'enseignement religieux dans les établissements scolaires:

Article n°1: l'enseignement religieux pourra être dispensé aux élèves des établissements scolaires publics et privés soit à l'intérieur de ces établissements.

Article n° 6: les présentes dispositions ne concernent que les cultes catholiques et protestants.

Nord- Est de la Côte d'Ivoire, est qualifiée de ville aux mille mosquées. Elle a produit des ulémas tels que, Aboubakar Timité, El Hadj Mahma Timité, Siaka Bamba et Mahama Ouattara qui ont laissé des manuscrits qui font toujours l'objet de recherches et de publications. Enfin se trouvent aussi d'autres sites tels qu'Odienné, Séguéla et Touba (Coulibaly. L, 2007, 88-92) etc. Toutes ces villes ont contribué à la transmission du savoir et le message islamique en Côte d'Ivoire.

Pour la pénétration de l'Islam et transmission des savoirs, nous retenons principalement quatre passages du Maghreb vers l'Afrique subsaharienne qui sont :

- 1- Birka برقة (Libye) à Bilma- pays de Borno برنو et de Hawsa.
- 2- Kairouan القيروان - Tikda تكدّة - Kano كانو au Nigéria
- 3- Tilimsen (Algérie) - la rive du fleuve Niger-Tomboukou – Gao- Djenné (Mali)
- 4- Lemtouna لمتونة (Maroc) - par l'Océan atlantique et le fleuve Sénégal et Niger.
- 5- Tombouctou- Djenné- Ségou- Sikasso-Kong (Côte d'Ivoire)
- 6- Djenné Bobo-Doulasso (Burkina Faso)-Kong (Côte d'Ivoire)

La circulation des savoirs a connu deux périodes différentes : une période de rayonnement aussi que de déclin en Afrique subsaharienne.

La période de rayonnement s'étend du 14<sup>e</sup> au 16<sup>e</sup> siècle grâce aux Rois de l'empire du Mali et du Songhaï qui ont fourni un effort considérable pour la transformation de la zone en une zone de culture et de civilisation islamique en encourageant les ulémas et en faisant venir des savants partout du Maghreb. Parmi les spécificités de cette période, le Roi Mansa Moussa<sup>(1)</sup> a envoyé une colonie d'étudiants pour poursuivre leurs études dans les pays du Maghreb, il a également acheté une grande quantité de livres pendant son retour du hadj, puis il a créé en 1325 une grande école (Maïga. A, 1997, 38-39). Et à l'époque d'Askia Mohamad, il a acheté des concessions en 1484 à la Mecque et à Médine au profit des nécessiteux et des apprenants venant du soudan occidental rien que pour encourager le savoir et faciliter les conditions d'étude (Kaet .M, 1964,16).

Quand à La période de déclin, elle commence avec l'arrivée des colons. Cette période a connu une forte régression due au fait que les colonisateurs ont mis la pression sur les écoles en dressant plusieurs difficultés dans leur fonctionnement par des moyens fallacieux tels que des décrets de fermeture et même de démolition des écoles coraniques. Concernant la Côte d'Ivoire, nous citons quelques exemples des arrêtés (Arêté, 1945, n°2541, AP du 20 août)<sup>(2)</sup>. Tous ces différents décrets n'avaient qu'un seul objectif qui est celui

(1) L'un des rois de l'empire du Mali

(2) Cet arrêté mentionne ceci : article 1: les écoles coraniques et les écoles catéchismes sont

et l'Afrique de l'ouest dès les premières ères de l'Islam. A ce propos on note que, cette relation se déroulait dans un esprit cordial jusqu'à l'arrivée des colonisateurs. Avec l'arrivée de ces derniers, dont la présence causerait un certain nombre de difficultés aux relations méditerranéo-sahariennes.

### 0.5. La ville de Kong

A travers ces nombreux centres, la Côte d'Ivoire a eu sa part d'enseignement et des institutions éducatives dont la ville de Kong était le site essentiel pendant deux siècles 18-19. Elle avait un système d'enseignement bien défini et bien ordonné, il s'agit du niveau primaire (*Doucuman*), avancé (*Sando*) et supérieur (*Loniba*). Pour achever tous ces niveaux il fallait 35 ans (Koné. S, 1997, 33). Sékou Ouattara le fondateur de l'empire de Kong islamique a rendu cette ville en un centre de culture conservant ses rapports avec les anciens centres de la zone notamment Tombouctou, Djenné et Gao. Mais, il est regrettable de voir dans quel état est cette ville (Kong) actuellement. Après l'avènement de Samory Touré en 1897 (Fofana. L, 2014, n° 14 mai/11), les ulémas de Kong ont été l'objet de dispersion à l'intérieur du pays comme à l'extérieur, ce qui a fait perdre à Kong sa place et son université qui était une référence pendant deux siècles. Aujourd'hui, cette ville ne dispose que de cercles d'apprentissage traditionnelle, elle ne compte plus actuellement parmi les centres de diffusion de l'enseignement moderne en Côte d'Ivoire. Mais par contre, elle a conservé l'enseignement coranique classique appelé communément en Côte d'Ivoire (doukoumankalan : enseignement sur la terre.) dont l'évolution d'apprenant est très lente par rapport au système de Medersa.



La grande mosquée de Kong qui date de 17siècle

Source : Islam info, hors-série n° 14 mai 2014 :11.

A l'instar de Kong, d'autres villes en Côte d'Ivoire actuelle ont contribué efficacement à la circulation des savoirs à l'intérieur du pays entre autre nous citons : d'abord la ville de Boron située au nord de la Côte d'Ivoire, fut construite par la famille Sanogo connue par sa science à qui revient le poste de l'Imamat à Kong conjointement avec la famille Konaté. Ensuite la ville de Bondoukou toujours considérée comme une ville de science et de culture située au

*Dieu, elle est la demeure de savants et adorateurs et le lieu d'harmonisation des bien-aimés d'Allah et les pieux »* (Saadi .A, 1981 : 20).

Elle fut aussi un centre d'accueil pour les étudiants du Maghreb telle que Marrakech et d'autres endroits (actes colloque, 1998, 12-14). Par ailleurs, Tombouctou a fait la promotion des savants et des ulémas comme Ahmed Baba, Mahmoud Keat) et Abdrahaman Saadi qui ont servi l'Afrique de l'ouest et l'humanité entière. De plus leurs écrits sont aujourd'hui indispensables pour les recherches sur l'histoire de l'Afrique occidentale.

### **1.2. La ville de Djenné**

Djenné fut une ville de la culture islamique après la ville de Tombouctou par le fait que son chef, après sa conversion à Islam, a démoli son palais et construit à sa place une mosquée pour la prière et pour l'enseignement. Grâce à ses œuvres, le nombre de ses savants a atteint 4200 de différentes spécialités en sciences islamiques. Il est intéressant de signaler que la ville de Djenné comptait pendant la période coloniale 15 médersas d'enseignement islamique sans compter le nombre important de livres et de documents en sciences religieuse et linguistiques (Maiga . A, 1997 : 223).

### **0.3. La ville de Gao**

Elle aussi a connu un succès dans la transmission des savoirs et la propagation de l'Islam en Afrique subsaharienne, étant donné qu'elle est considérée comme une porte d'entrée d'Afrique de l'ouest et un point d'accueil pour les caravanes venant d'Egypte de la Lybie de l'Algérie et de la Tunisie. Sa particularité est qu'elle permet l'accès aux trois pays d'Afrique de l'ouest, il s'agit du Niger, du Burkina Faso et du Mali (Zongo Saïd, 2001, 115).

### **0.4. La ville de Koumbi-Sala**

Située actuellement en Mauritanie, elle fut un important centre de circulation des savoirs en Afrique subsaharienne et conséquemment, les commerçants et ulémas magrébins précisément les Marocains s'y sont installés. C'est fort logique qu'elle fut transformée en ville du savoir par le biais des Almoravides qui ont créé une école dans chaque mosquée dont le nombre dépassait 12 édifices, en effet, cette tradition est restée jusqu'à nos jours en Mauritanie précisément en Nouakchott où chaque mosquée détient un cercle d'apprentissage et mémorisation du Coran et les sciences islamiques qu'on appelle « *Ma-hadhrat* : محاضرة ). De même ils ont créé des centres d'enseignement islamique en ville d'Awdaghust où les deux villes sont actuellement dans la république islamique de Mauritanie (Hassan .I, 1957 : 149).

En plus de ces villes citées il y a de nombreux sites qui ont servi à la circulation du savoir en Afrique subsaharienne dont les particularités ne seront pas détaillées ici. Il s'agit des villes de Katsina (google , 2021, 07/07) et Sokoto au Nigeria. Ce qui montre réellement les rapports culturels entre le Maghreb

Dans cet article, nous essayerons d'apporter un éclaircissement à travers l'analyse de textes sur les voies et les moyens de circulation des savoirs entre le Maghreb et l'Afrique subsaharienne en général et la Côte d'Ivoire en particulier.

## I- LE CIRCUIT DE TRANSMISSION DU SAVOIR

### 1. Le cheminement

Le cheminement du savoir du Maghreb est le résultat d'une ancienne relation entre les deux pôles sur le plan commercial. Cette relation entre l'Afrique du nord et l'Afrique subsaharienne remonte au temps de phéniciens à travers les caravanes. (Kodio.G.N, 2006 : 17).

Kong étant la ville symbolique située au nord de la Côte d'Ivoire (sur le plan commercial culturel et religieux), a tissé un rapport du commerce international vers l'Egypte. Grâce à sa situation privilégiée. Kong \*développa à l'aube du XI<sup>e</sup> siècle, des contacts culturels, religieux, commerciaux et humains avec les pays Maghrébins et particulièrement Ifriqiya (Tunis) par le biais de Gao (Mali) et de Koukiya (Niger) qui, déjà entretenaient des relations depuis des siècles avec l'Egypte préislamique. Ce commerce empruntait le vieil axe oriental passant par Bobo-Dioulasso (Burkina Faso), Gao (Mali) et Kairouan (Tunis), surtout avec la création de ville de Tombouctou à 11<sup>e</sup> siècle. Les commerçants et les Ulémas se sont dirigés de Fès et de Sousse vers l'Afrique subsaharienne. (Kodio G.N.2006 : 16-18-173).

Par la suite, ces voies commerciales sont devenues un chemin de la diffusion de l'Islam et la circulation du savoir, disons même des centres culturels grâce à la recherche naturelle et à la politique de ses dirigeants. L'Afrique subsaharienne a connu des centres d'enseignement de qualité à travers des villes créées par les tribus maghrébines et des villes nationales dont les habitants étaient islamisés par les commerçants et les savants ressortissants arabes. À titre d'exemple nous citons quelques sites qui ont contribué à la diffusion de l'Islam et le savoir dans la zone.

#### 0.1. La ville de Tombouctou :

La ville de Tombouctou où se sont installés les Touaregs Magharn est devenue ensuite un centre du savoir, de la civilisation, la propagation de l'Islam et de la culture. Elle fut à l'époque en Afrique de l'ouest comme l'exemple de Kûfa et Bassora en Iraq, Fès au Maroc, Kairouan en Tunisie et Caire en l'Egypte. Ces villes furent distinguées par leur avancement en sciences et par les nombres de savants qui y vivaient. Par contre Tombouctou a une particularité. Cette particularité est qu'elle fut créée étant une ville islamique comme l'indique Saadi :

*«une ville islamique dès sa création, elle n'a jamais connu l'impureté par l'adoration des idoles, son sol n'a jamais connu une prosternation que pour*

Indeed, although the Ivory Coast is attached to areas which have long been Islamized, the ways and means of conveying knowledge to it still remain an issue of several questions and without any precision. This contribution thus provides some solutions to the many problems that this could give rise to. It will also focus on relations between Côte d'Ivoire and the Maghreb across sub-Saharan Africa. These long-established commercial ties between West and North Africa have fostered the rapid emergence of Islam and cultural exchanges between African ends since the first era of Islam.

Keywords: Africa, knowledge, transmission, Maghreb, Ivory Coast

### **INTRODUCTION :**

Dans la diffusion de l'Islam et le savoir, le Maghreb a toujours été un passage obligatoire pour l'Afrique subsaharienne, d'autant plus que pendant cette période les déplacements se faisaient par voie terrestre. La situation géographique des pays méditerranéens a favorisé ce lien multidimensionnel. Ce circuit du savoir n'a pas été suffisamment exploité sur le plan scientifique, notamment en ce qui concerne les zones forestières de l'Afrique subsaharienne : d'où l'importance dudit sujet dans les études récentes. Cette étude s'étend de 1893 à 1960. C'est à partir de l'année 1893 que la Côte d'Ivoire est devenue colonie française. 1960 est la date à laquelle cette zone a eu son indépendance au nom de la République de Côte d'Ivoire.

Les relations entre l'Afrique subsaharienne et le Maghreb sont très anciennes. Pourtant la circulation du savoir entre ces deux pôles reste toujours l'objet de nombreuses questions concernant le moyen de transmission, ses acteurs et ses méthodes. Tous ces facteurs nécessitent un éclaircissement, d'où l'intérêt de notre étude.

Les relations entre le nord et l'ouest de l'Afrique, plusieurs raisons en sont la cause. Il s'agit entre autres : des raisons géographiques, commerciales et culturelles. Car le fait que les deux pôles se partagent l'espace, il était évident qu'il y ait un brassage perpétuel causé par des déplacements entre les différents peuples soit pour des raisons climatiques soit pour des raisons économiques. Il n'est pas possible de concevoir l'histoire de cet immense espace sans qu'elle soit liée à cette intégration profonde, car le cheminement des royaumes, des empires et des dynasties est étroitement lié à cette construction interrégionale.

Mais, dans le cadre de cette étude et compte tenu de son intérêt, nous nous pencherons essentiellement sur l'échange culturel, en tenant compte du chemin par lequel le savoir a transité pour atteindre l'Afrique de l'ouest ainsi que de la nature de ce savoir. Mais lorsque nous parlons de savoir il est étroitement lié à l'Islam car l'Islam nécessitait une certaine connaissance pour sa pratique quotidienne et ses rites. Ceci dit qu'il n'y a pas islam savoir.



## La transmission de savoir entre le Maghreb et l'Afrique de l'ouest : le cas de la Côte d'ivoire de 1893 à 1960

KONATE MOUSSA

### Résumé :

Cet article se propose de traiter la transmission du savoir entre le Maghreb et l'Afrique de l'Ouest par ricochet la pénétration de l'islam en Côte d'Ivoire. Il éclaire également sur les moyens d'échanges culturels entre ces derniers.

En effet, bien que La Côte d'Ivoire soit rattachée aux zones longuement islamisées, les voies et les moyens d'acheminement du savoir vers elle, restent toujours un enjeu de plusieurs interrogations et sans aucune précision. Cette contribution vient ainsi apporter quelques solutions à ces nombreuses problématiques que cela pourrait susciter. Elle mettra aussi un accent sur les rapports entre la Côte d'Ivoire et le Maghreb à travers l'Afrique subsaharienne. Ces rapports commerciaux anciennement établis entre l'Ouest et le Nord de l'Afrique ont favorisé l'apparition rapide de l'Islam et les échanges culturels entre les bouts africains depuis la première ère de l'Islam.

**Mots clés :** *Afrique, savoir, transmission, Maghreb, Côte d'Ivoire*

### THE TRANSMISSION OF KNOWLEDGE BETWEEN THE MAGHREB AND WEST AFRICA: THE CASE OF COTE D'IVOIRE from 1893 to 1960

**Abstract :** This article sets out to deal with the transmission of knowledge between the Maghreb and West Africa as a result of the penetration of Islam in the Ivory Coast. It also sheds light on the means of cultural exchange between them.



usage dans des domaines qui la dépassent. Montrant toutes les limites des thèses philosophiques qui prétendent se passer de la lumière de la révélation, l'imam dénonce l'excès inverse, qui consiste à rejeter le recours à la raison discursive en matière de religion, autant que ses détournements par certains « mauvais savants ».

Al-Ghazâlî met en garde contre les dangers du conformisme aveugle en matière religieuse, mais aussi contre le piège d'un discours de la raison qui chercherait à accaparer la place de l'intelligence en prétendant à la connaissance par le déni de tout ce qui la dépasse. Cette situation ne peut, au bout du compte, que dégénérer en un relativisme délétère remettant en cause la notion même de Vérité et la possibilité de connaître Dieu pour être en capacité de Le reconnaître.

Pourtant, selon les textes sacrés et les enseignements des prophètes, c'est bien cette connaissance de Dieu, Vérité absolue et éternelle, qui constitue le but même de l'existence humaine. C'est ce but qu'ont atteint les authentiques saints et savants de Dieu, et, parmi eux, l'imam al-Ghazâlî qui nous appelle, à travers son œuvre unique, son parcours exceptionnel et son expérience spirituelle, à le rejoindre.

### **Le tabernacle des lumières**

La quête de la connaissance de Dieu, nous dit al-Ghazâlî, exige du croyant de s'abandonner à Lui, corps et âme, pour élever son esprit au-dessus de soi-même. Il faut savoir reconnaître les limites de la raison tout comme la valeur intellectuelle de la foi. La foi est une forme de connaissance, qui comporte des degrés plus ou moins élevés, en fonction des dispositions providentielles de chaque croyant, et de ses efforts dans la voie religieuse, couronnés par la grâce divine. Pour al-Ghazâlî, le degré de foi le plus élevé correspond à la contemplation par la lumière de la Certitude.

Le *fikr*, la pensée, n'est pas une fin en soi, et qu'elle risque de s'avérer stérile si elle ne conduit pas au stade supérieur du *tafakkur*, la réflexion, puis du *tadabbur*, la méditation, qui ouvre l'intelligence et le cœur à la Connaissance spirituelle, et trouve son accomplissement dans le dhikr, la conscience et le rappel de Dieu. Al-Ghazâlî montre le chemin menant à la vision des Lumières de Sa Face.

La foi et l'intelligence sont des dons précieux de Dieu qu'il faut cultiver, approfondir et employer avec sagesse, rigueur et ouverture du cœur, pour réussir à bénéficier des grâces divines qui soutiennent le croyant dans son itinéraire de retour à Dieu. L'imam al-Ghazâlî saura ainsi faire le lien entre philosophie, théologie et soufisme, entre raison, foi et spiritualité, entre exotérisme et ésotérisme, en conciliant la profondeur de la foi avec la noblesse de l'intelligence, toutes deux mises au service de la recherche de la Vérité dans la Connaissance de Dieu et du monde, ainsi qu'à travers la pratique des sciences de la Religion et la discipline du cheminement spirituel.



classable. Sa connaissance n'était pas simplement théorique, car il s'exprimait en homme d'expérience, car il avait réalisé et expérimenté en profondeur ce dont il parlait. Il était certes rattaché aux grands imams et maîtres spirituels des courants traditionnels de l'islam sunnite, en particulier l'école de droit chaféite, la doctrine théologique acharite, et la voie spirituelle du soufisme orthodoxe.

Mais sa sensibilité spirituelle, sa préparation intellectuelle et ses capacités particulières de pénétration doctrinale l'autorisèrent à puiser directement à la source du Coran et de la Tradition prophétique, pour en extraire l'essence et les « perles », sans pour autant en rejeter les formes et les « coquilles ».

C'est ainsi qu'il atteignit un niveau de maîtrise qui lui permit d'apporter sa contribution propre à l'effort d'interprétation et de reformulation des enseignements de l'islam, pour le bénéfice de ses contemporains et des générations à venir. Les savants qualifiés reconnaissent en lui le « restaurateur » (*mujaddid*) de la religion musulmane au XIIe siècle.

De nos jours, nombreux sont ceux qui, comme à l'époque d'al-Ghazâlî, semblent avoir oublié le sens de la vie sur terre et de leur fonction en ce monde, en raison d'un voile superficiel qui empêche de connaître la véritable lumière de la foi et les réalités spirituelles. Neuf siècles plus tard, les débats entre foi et raison, entre religion et science, entre spiritualisme et matérialisme continuent de faire rage. Si le contexte actuel est différent, c'est toujours le même travail qui doit être entrepris, quelles que soient les époques, par les témoins de la Tradition authentique, afin de rétablir les conditions qui peuvent permettre aux hommes de « goûter » l'Unité de Dieu dans la multiplicité de Sa création. A cette différence près qu'il ne s'agit peut-être plus, aujourd'hui, d'analyser la crise intellectuelle et spirituelle de l'homme contemporain.

Il convient plutôt d'appeler, de façon très pragmatique, ceux qui aspirent encore à la connaissance de la Vérité à faire preuve de cohérence et d'intégrité dans leur vie même, en abandonnant les conditionnements extérieurs et les influences subtiles d'un monde qui apparaît de plus en plus incompréhensible, pour retrouver la conscience de la Présence divine éternelle.

### **L'incohérence des philosophes**

Pour al-Ghazâlî et tous les sages, la seule philosophie valable est, selon l'étymologie du mot, « amour de la sagesse » ; mais cette philosophie ne saurait se suffire à elle-même, elle n'est qu'un préalable, une préparation théorique à l'acquisition de la Sagesse divine. Al-Ghazâlî met en évidence la hiérarchie des degrés de la connaissance accessibles à l'homme par ses facultés spirituelles et intellectuelles, conformément aux dispositions innées que Dieu a accordées à Ses créatures.

Si l'être humain possède, par sa nature, un corps et une âme, il est surtout doué d'un cœur qui le rattache à la réalité seigneuriale de l'Esprit. Au sein de cet ordre graduel ascendant, al-Ghazâlî remet la raison humaine à sa juste place, tout en reconnaissant sa valeur et son rôle décisif dans la pratique de la voie de l'Au-delà. Ce n'est pas la raison en elle-même qu'il condamne, mais bien son



# L'imam al-Ghazâlî, un patrimoine, un exemple

**Abd al-Wadoud Gouraud,  
Institut des Hautes Etudes Islamiques**

Les biographies de l'imam al-Ghazâlî (1058-1111) en langue française ne manquent pas. Le lecteur pourra facilement les consulter s'il désire s'informer sur la vie et le parcours de celui qui est encore surnommé *Hujjat al-islâm*, la « preuve de l'islam », et qui reste l'une des références majeures de l'orthodoxie islamique traditionnelle.

L'imam Muhammad ibn Muhammad Abû Hâmid al-Ghazâlî n'a cessé de marquer, par ses enseignements, la vie de nombreux croyants d'Orient et d'Occident, par-delà les époques et les cultures. Ses œuvres, qui couvrent les principales sciences islamiques – droit, théologie, soufisme, philosophie –, continuent d'être étudiées et enseignées jusqu'à nos jours dans la communauté musulmane. La recherche universitaire occidentale, elle aussi, s'est intéressée assez tôt à la pensée et aux écrits de cette figure emblématique de l'islam classique.

Aussi avons-nous envisagé une autre approche, considérant qu'il serait opportun de proposer un panorama des œuvres majeures de l'imam et une synthèse de ses enseignements fondamentaux, non seulement d'un point de vue doctrinal mais aussi dans une optique plus opérationnelle. L'imam al-Ghazâlî a souvent insisté, en effet, sur la nécessité de mettre en cohérence l'aspiration à la connaissance, la profondeur de la foi et la noblesse des intentions, avec l'acquisition et la pratique des vertus et la conformité des œuvres.

## **Le début de la guidance**

L'œuvre d'al-Ghazâlî forme une synthèse providentielle de la Science sacrée en islam. Tout à la fois juriste, théologien, philosophe et mystique, l'on ne saurait réduire al-Ghazâlî à l'une ou l'autre de ces catégories. Il est, en réalité, in-

comme Lui (*mithlahu*) une chose (*shay'*), c'est-à-dire en clair : aucune chose n'est comme Lui. Si le shaykh Ibn 'Arabî reprend souvent cette interprétation à son compte, il en rajoute une autre qui pour être « choquante », n'en est pas moins rigoureusement conforme à la syntaxe arabe. Pour lui, pas un mot dans le coran ne saurait être considéré comme *zâ'ida*, rajouté sans posséder de valeur particulière. Aussi procède-t-il à une relecture de ce verset que l'on peut entendre de la façon la plus littérale et la plus naturelle qui soit : Il n'est (*layssa*) comme (*kâf*) Son semblable (*mithlahu*) une chose (*shay'*), c'est-à-dire : « Rien n'est comparable à Son semblable ». Ce qui évidemment est de nature à faire bondir l'orthodoxie. Néanmoins il faut saisir la subtilité du propos avant de s'empresse d'en condamner l'auteur. La première remarque est que si l'on ne peut être comparé à Son semblable, a fortiori, on ne peut Lui être comparé. Et en second lieu on doit se poser la question de savoir quel est ce semblable et en quoi Lui est-il semblable ? Nous avons déjà laissé entrevoir sa nature dans le *hadîth* précédemment cité où il est dit que les mœurs du Prophète – sur lui la grâce et la paix – étaient ceux du Coran. Et c'est donc bien du Prophète qu'il s'agit lorsque le shaykh fait allusion à ce « *mithl* » qui a reçu les noms les plus divers tels que l'homme parfait (*al-insân al-kâmil*), le prototype unique (*al-unmûdhaj al-farîd*), l'esprit muhammadien (*al-rûh al-muhammadi*), etc...

Bien entendu la personnalité dont il question, dépasse et de loin, le cadre strictement « historique » de sa mission puisque, selon ses propres dires, l'Envoyé était prophète alors qu'Adam était entre l'eau et l'argile et c'est à ce titre qu'il apparaît comme l'archétype de toute la création. Aussi sa naissance n'est-elle rien de moins que la naissance de l'univers entier et fêter sa naissance revient à fêter la création dont il est le principe en tant que *awwalu khalqi Llâh*, le premier être de la création divine.

La « ressemblance » du Prophète avec son Seigneur tient donc à cette perfection de mœurs de celui qui n'a été créé qu'afin de s'anéantir totalement dans la servitude de son Seigneur tant et si bien que son désir semble se confondre avec le Sien, attitude qui est fort bien illustré par ce *hadîth qudsî* : Ô mon serviteur, sois avec Moi comme Je le veux et Je serai avec toi comme tu le veux. C'est cette noblesse qu'il est venu nous transmettre ainsi qu'il l'affirme le plus naturellement du monde : « Je n'ai été envoyé qu'afin de parachever la noblesse de caractère. » Que Dieu nous accorde de souscrire à cet objectif afin de nous rapprocher de l'Un et de l'autre à la mesure de nos moyens et qu'Il prie, magnifie et accorde sa sauvegarde au prince de la création qui fut à la fois la finalité et la source de celle-ci.

vie du Prophète lui-même, sur lui la grâce et la paix. Ce qui est confirmé par un autre *hadîth* selon lequel « il m'a été révélé le Coran et autant que le Coran avec lui » et qui a été interprété comme désignant la tradition prophétique, la *sunna*, le mode de vie prophétique dont doit s'inspirer tout musulman pieux. Ainsi la Parole divine a-t-elle été véhiculée sur terre par au moins deux supports créés, le texte arabe et la personne même du Prophète. On pourrait dire que le Prophète est à Dieu ce que l'Écriture arabe est à Sa Parole. Le Coran affirme en effet que *Muhammad n'est qu'un Envoyé (wa mâ Muhammadun illâ rasûl)* ce qui signifie si l'on en croit la littéralité du texte que la personne du Prophète se réduit à sa fonction. On peut évidemment considérer cette affirmation sous un angle « dépréciatif » et dans ce cas cela reviendrait à dire que le commandement revient à Dieu Seul, le Prophète n'étant qu'un instrument, ce que n'ont pas manqué de faire certains commentateurs tout en témoignant de leur respect absolu vis-à-vis du Prophète. On peut également envisager cette affirmation sous un angle positif et en conclure que *sidnâ Muhammad n'a « aucune existence »* et que sa seule raison d'être est de s'effacer totalement devant Dieu afin de L'adorer d'une part et de transmettre aux hommes tout ce qu'Il a à leur communiquer de l'autre. Le réduire à sa fonction ne revient pas à le réduire, ni à le déshumaniser mais au contraire à remettre en valeur la véritable notion de virilité ; l'Homme, le *vir* en latin (qui est à l'origine de la vertu), le *rajul* en arabe et on peut trouver de cette notion un équivalent dans toutes les civilisations, est donc celui qui s'efface devant la Volonté du ciel et qui la transmet : *Il n'est pas avare d'informations relatives à ce qui est céleste (wa mâ huwa alâ al-ghaybi bi danîn)*.

Le coran l'affirme par ailleurs qui met cette parole dans la bouche du Prophète ; *Innamâ ana basharun mithlukum*, Je suis bel et bien un homme comme vous ! On peut donc envisager le Prophète sous deux aspects dont l'un nous concerne au premier chef puisqu'il s'agit de la transmission du message (la *risâla*) par celui dont l'humanité même nous garantit sa capacité de nous le communiquer dans un langage accessible et dont l'autre nous échappe presque en totalité puisqu'il s'agit du *sirr*, du secret qui unit le serviteur à son Seigneur. Traducteur (*mutarjim*) et transmetteur de la volonté du ciel, il est aussi celui qui l'incarne à la perfection, affirmant qu'il y a un moment où seul son Seigneur est en mesure de le contenir, ce « moment » demeurant pour nous insaisissable.

A propos du verset affirmant qu'« Il n'est rien qui Lui soit comparable<sup>(1)</sup> » que les *oulémas* considèrent à juste titre comme celui dans lequel la transcendance divine est le plus nettement affirmée, nombre de grammairiens et d'exégètes ont estimé que le mot *kâf*, qui signifie comme, n'avait qu'une valeur superfétatoire, ce qui permet de traduire littéralement ainsi : Il n'est (*layssa*)

(1) *Layssa ka mithlihi shay'*, Cor. (42, 11)

conduire les rationalistes, *ahl al-nazar*, à se forger une idée rationnelle de la Personnalité divine, les gens de la voie, eux, vont arriver à des conclusions bien différentes fondées sur leurs expériences spirituelles. Et leur conclusion fondamentale est que Dieu, quoiqu'illimité et non soumis au temps et à l'espace qu'Il a créés est bel et bien Présent, « ici et maintenant » au sein de ce monde qu'Il a manifesté et « conçu » pour refléter Ses qualités et véhiculer Sa Présence, mais selon une modalité (un *kayf*, comment) qui nous échappe à jamais. Et puisqu'Il est avec nous où que nous soyons, pour reprendre une expression coranique, c'est à nous d'entreprendre le voyage en vue de goûter à Sa Présence dans la mesure des prédispositions qui nous sont octroyées.

### Union du créé et de l'incrée

L'islam, dans son expression la plus achevée, nous invite donc, comme toutes les traditions antérieures, à faire le lien entre le *ghayb*, ce qui est à jamais celé, voilé, ineffable, inaccessible, souverain l'égard du monde et des mondes et ce qui est limité, fini, charnel, soumis à des appétits et à des désirs, bref l'humanité, élément minime de la création divine mais dont Dieu a cependant tenu à faire son représentant sur terre. La rencontre du créé et l'incrée, telle est au fond la question fondamentale qui interpelle tous ceux qui s'intéressent peu ou prou au sujet de la révélation.

Cette question va faire l'objet d'un débat mémorable en Islam à travers la question posée à propos du Coran. Le Livre de Dieu est-il ou non créé ? Si la Parole divine (*kalâm Allâh*) est bien un attribut divin, elle doit nécessairement être éternelle tout comme Allâh Lui-même ; cela est entendu. Mais que dire de cette lecture répétée régulièrement par les récitateurs, qui a un commencement et une fin ? Qui est articulée dans une claire langue arabe selon les propos mêmes du Coran ? Bref qui a tout d'une parole d'homme alors que la Parole divine est éternelle, sans commencement ni fin, inaudible à un auditoire humain normal, sans sons, etc... Pour solutionner cette apparente contradiction, les théologiens en ont conclu que seul le mot arabe était créé reprenant ainsi l'argumentation de Bukhârî qui affirmait : *al-lafzu makhlûq*, le mot est créé. Ainsi la version arabe du texte sacré apparaît-elle comme la traduction dans une langue humaine de la Parole divine. On a donc là un exemple parfait de la rencontre entre créé et incrée, mais si cette rencontre illustre le processus de la révélation pour laquelle l'arabe emploie le mot de descente, doit-on s'en tenir là et considérer qu'en dehors du Coran la théophanie demeure un phénomène épisodique, voire exceptionnel ? Un *hadîth* remontant à notre dame 'A'isha, la jeune épouse du Prophète constitue une indication significative. Interrogée au sujet des mœurs ou des caractères du Prophète, elle répondit que ses caractères étaient le Coran (*kâna khuluquhu al-Qurân*), ce qui signifie que les caractères décrits comme autant de perfections par le texte étaient illustrés par le mode



# Muhammad est l'Envoyé de Dieu

## Essence et Attributs

Par Abdallah Penot

*Dieu est Souverain à l'égard des mondes* (الله غني عن العالمين) ; c'est en ces termes que le Coran affirme l'absolue transcendance de Dieu. Cet « aspect » de la divinité est précisément celui dont ne peut rien dire, rien affirmer. En parler d'une façon quelconque revient à Le limiter et Il ne S'accommode pas de limitations et si un Nom Lui est donné c'est plus une commodité de langage qu'une manière de L'appréhender. Au reste, les théologiens musulmans vont se montrer très prudent dans l'adoption des « Noms divins » puisqu'ils vont considérer qu'ils sont *tawqifi*, c'est-à-dire « suspendus » à l'usage que Dieu en a fait pour Lui-même. Autrement dit, Dieu dans Son absolutité n'est connu que de Lui Seul. C'est ce que le Prophète – sur lui la grâce et paix – exprimera en recommandant de méditer sur la création (ou sur les faveurs, selon d'autres versions) de Dieu mais de ne pas méditer sur Dieu Lui-même. Cette idée de l'inaccessibilité divine est également exprimée dans le Coran à travers des versets tels que : *Dieu vous met en garde contre Lui-même* (ويحذركم الله نفسه), ou encore *Ils n'ont pas apprécié Dieu à Sa juste valeur* (وما قدرُوا الله حق قدره). Ainsi Dieu est-Il Inaccessible (Manî'), mais si tel est le cas, comment peut-on espérer s'en approcher, voire s'unir à Lui ainsi que l'ont prétendu certains spirituels, non seulement dans le cadre de la tradition islamique mais à travers les âges puisqu'il semble bien que l'existence d'une telle catégorie d'individus soit une constante dans toutes les traditions, nonobstant la question de leur orthodoxie. De fait la réponse est contenue dans le conseil du Prophète précédemment cité. C'est en effet la méditation sur la création ou les bienfaits divins qui peut nous conduire à Dieu, mais tandis que cette méditation va

## SOMMAIRE

Muhammad est l'Envoyé de Dieu Essence et Attributs..... 3

***Par Abdallah Penot***

L'imam al-Ghazâlî, un patrimoine, un exemple ..... 7

***Abd al-Wadoud Gouraud***

La transmission de savoir entre le maghreb et l'afrique de l'ouest :  
le cas de la côte d'ivoire de 1893 à 1960..... 10

***KONATE MOUSSA***



# **JAWHAR EL ISLAM**

Revue culturelle islamique - Tunisie

**Numéro 1/2 - 21ème année**